وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الجزائر
قسم التاريخ

مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين 5 و6 للميلاد

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

- إعداد الطالب:
- حسن معمري

- تحت إشراف::
- د/بلقاسم رحماني

السنة الجامعية 2005-2006

الإهداء

إلى أغلى الناس في الوجود والدي الكريمين
إلى من وقفت بجانبي وكانت لي سندا ودعما إلى أم أبنائي
زوجتي الغالية.
إلى فلذات كبدي
إلى إخوتي وأخواتي.
إلى كل أفراد عائلة معمري صغيرا وكبيرا
إلى كل أبناء القرية و أبناء مدينة ورقلة.
إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد.
أهدي هذا العمل المتواضع.

شـــكر وعـــرفان

أتقدم بشكر الجزيل إلى المشرف الدكتور رحمـاني بلقاسـم الذي وقف إلى جانبي وأمدني بكل مـا أحتاجـه مـن معلومـات ونصائح وتوجيهات عن الموضوع.

كما أتوجه بشكري الخاص كذلك إلى كل من قدم لـي يـد المساعدة، عمال المكتبة الوطنية والجامعية ومكتبة ورقلة.

ـ المقدمة:

يعد البحث في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للعرب في العصر القديم، ودراسة الجذور الأولى لحضارة المنطقة من القضايا التي لا زالت تشغل اهتمام الكثير من المؤرخين والمهتمين، ولقد انصبت الدراسات الحديثة على دراسة حضارة شبه الجزيرة العربية وركزت على الحجاز ومكة باعتبارها مركزا دينيا قديما، إضافة إلى دورها بعد ظهور الإسلام، لهذا اتجهت إلى المنطقة جهود الباحثين بالبحث والتنقيب في شتى جوانب المنطقة الحضارية.

يرجع سبب اختـــياري لموضوع التنظيم السياســـي و الاجتماعي والديني لمـــــكة وأثره على علاقاتها التجارية الخـــــــارجية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خـلال الـقرنين الخامس و السادس الميلاديين لميـلي إلى المواضيع التجـارية أكثر من غيرهـا، ولتشجيعات زملائي وأساتذتي خاصة الدكتور محمد الطـاهر العدواني على المضي فـي هـذا المـوضوع، ومن ناحيـة أخرى لأهمية الموضوع باعتباره جانبا مـن جـوانب الحضارة الإنسانية ساهم في ازدهار الأمم و الحياة المدنية، بالإضافة إلى قلة وجـود دراسات اهتمت بمواضيع سياسية و تجارية شرقية خلال هذه الفترة في تاريخ العرب القديم، والتي تعتبر فترة انتقالية من التاريخ القـديم إلـى التـاريـخ الـوسيط فـي شبـه الجزيرة العربية، إضافة إلى أنها شهدت أحداثا سياسية هامة.

و الإشكالية التـي يمكن أن نطرحهـا، هـل أن تلك التنظيمات السياسية و الاجتماعية أثرت علـى تجـارة أهل مكة و علاقاتهـا التجـارية بجيرانها في شمال و

جنوب شبه الجزيرة العربية ؟ و كيف استطاعت الوصول إلـى تلك المكانـة التجاريـة هل أن نظامها كـان سببـا فـي ذلك ؟ هل أن وضعيتها الاجتماعيـة و الدينيـة كانـت سببا في ذلك ؟ أم هناك أسبـــــــابا أخرى ؟؟.

فيما يخص الخطـة المتبعـة فـي البحث فتتمثل فـي مدخل وهو عبـارة عن فصل تمهيدي تناولت فيه تسمية مكة ثم موقعها جغرافيا و تاريخيا ثم ثلاثة فصول وخاتمة.

فـي الفصـل الأول و المعنون بالتنظيم السياسي و الاجتماعي و الدينـي لمكـة تحـدثت عـن نظـام مكـة الإداري وأهـم المناصـب فيـه سـواء العـسكريـة أو الاجـتمـــاعية أو الاقتـصادية و أثـره علـى حيـاة المكيـين، ثـمّ التقسيم الاجتمـاعي للمجتمع المكي وبعض العادات و التقاليد و الحياة الدينية فيه.

أمـا الفصل الثـاني فقدعنونتـه بتجـارة مكـة ودورهـا فـي شبه الجزيـرة العربيـة خصصته للتعريف بمصطلح التجارة، وتجارة القوافل، و الطـرق والأسواق التجاريـة والعملات المتداولة خلال الـفتـرة المـذكـورة (أي القرنين 5 و 6 الميلاديين).

وبخصوص الفصل الثالث المعنون بنشاط مكـة التجـاري بين التـأثير والتـأثر تتناول في أثر الصراع الدولي على تجارة الحجاز وأثر التجارة علـى المجتمـع المكـي دينيا وعسكريا فعرفت بعض المراكز التجارية المجاورة(يثرب والطائف).

ثـم تبـع ذلـك خاتمـة للموضـوع احتـوت علـى بعـض إجابـات للإشـكاليات المطروحـة فـي أول الموضوع.

وعن مصادر ومراجع الموضوع فقد سبقت الإشارة إليها على أنها قليلة.على أن أهم المصادر المستعملة القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد أنزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله:"وإنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " [1] صدق الله العظيم.

و ما من شك في أن القرآن الكريم مصدر تاريخي أصدق المصادر وأصحها على الإطلاق فهو موثوق السند، ومن ثم فلا سبيل إلى الشك في صحة نصه بحال من الأحوال، فالنص القرآني هو أنباء وأحداث تاريخية لم يدخل عليها شيء غير الواقع لأخذ العبرة والعظة.

ويأتي الحديث بعد القرآن الكريم فله مكانة كبرى لقوله صلى الله عليه وسلم:"تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما بعدي أبدا كتاب الله وسنتي"[2]، غير أن الحديث مصدر فقهي أكثر منه تاريخي.

وهناك كتاب الأزرقي تحت عنوان" أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" وكتاب المسعودي "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الجزء الثاني، وكتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" لعبد الرحمان بن خلدون وغيرها ممّا هو مدرج في قائمة البيلوغرافيا. إضافة إلى مجموعات النقوش التي اكتشفت في المنطقة من طرف البعثات الأثرية الغربية والتي أمدتنا بمعلومات قيمة حول تاريخ المنطقة الحضارية وأبرز هذه الأعمال ،نتائج التنقيبات الأثرية في قرية الفاو جنوب شرق الحجاز، وفي الشمال أيضا.[3]

---

[1] القرآن الكريم، سورة فصلت الآية42، 41 ،انظر تفسير القرطبي (الجامع) 367، 366، 315.

[2]- رواه أصحاب السنن

[3] - انظر كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ،ج1، الرياض2000

أمّـا الـمراجع فمنهـا كتـاب علـي جـواد "المفصل فـي التـاريخ العـرب قبـل الإسلام" وهو عدة أجزاء وأخص بالذكر الجزئيين الرابع والسـابع، وكتـاب توفيـق بـرو المعـنون بتاريخ العرب القديم، وكتاب إبراهيم الشريف المختص بـعنوان مكـة والـمدينة فـي الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم والذي عثرت عليه في مكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة أثناء زيارتي لها المشار إليها آنفا. وكتاب محمد بيومي مهـران تحت عنوان تاريخ العرب القديم وغيرها، هذا بالعربية.

أما باللغات الأجنبيـة فهنـاك دراسـات عديدة لمستشرقين خاصـة مـا كتبـه الأب (لامانس) حول مـكـة و شبه الجزيرة العربية تحت عنوان مكة قبيل الهجرة وغيره[1] و فـي هـذا المـجال فقد إعترضتني صعوبات عدة في إنجـاز هذا العمل، أهمها عدم توفر الكتب المختـصة و قـلتها سـواء في المكتبـة الوطنيـة، أو الجامعيـة وفـي بعض الأحيـان أجد عنـوان الكتـاب فـي قائمـة البحـث عـن الكتـب، و لا أجده عند الطلب. بالإضـافة إلـى الفتـرة الطويلـة التـي قـضيتها فـي البحـث و التـي انتابهـا أحيانـا إنقطـاعـات كـان لهـا انعكاسات سلبية، و صعوبة التـنـقـل بـين مـدينة، ورقلـة التـي أقـطن بـها والجـزائـر العاصـمة، كمـا أننـي قمـت بزيـارة إلـى مكـة المكرمـة عـام 2000م لتأدية مناسك العمرة وقمت بزيارة جامعة أم القرى و حصلت على نسخ من كتب لم أجدها في الجزائر.

---

[1]- Lammens.(P):le Berceau de l'Islam,Rome,1914.
- Lammens,L'Arabie occidentale Avant L'Hégire,Beyrouth,1928.
- coussin des Perceval ,Essai, sur l'histoire des arabes Avant l'Islam,3t,Paris 1847-1848

وفـــي الأخيـــر لا يـــسعني إلا أن أتقـــدم بالـــشكر الجزيـــل إلـــى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل خاصة أفراد عـائلتي أبـــي وأمي وإخوتي وزوجتي وكل محيط الأسرة وزملائي بثانوية الشيخ محمد بـن الحاج عيسى بلدية عين البيضاء ولاية ورقلة إدارة وأساتذة وعمالا.

واخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور بلقاسم رحماني الذي لم يبخل علي بجهده وتوجيهاته ونصائحه العلمية، كما أشكر الأساتذة الدكتور مناصرية يوسف بجامعة باتنة و الأستاذ تلمساني بن يوسف على تشجيعهما لي في مواصلة البحث من جديد.

و الأساتذة الذين كان لهم الفضل في تلقيني المعلومات الأساسية في مجال البحث العلمي منهم الأستاذ الدكتور محمد الطاهر العدواني والأستاذ الدكتور محمد البشير شنيتي.

والله الموفق.

المدخل

1- تسمية مكة:

اختلف الإخباريون في تسميتها فيقال سميت مكة لأنّها تَمُكُّ الجبّارين أي تذهب نخوتهم [1] وهي اسم المدينة لأنّها تمك أعناق الجبابرة [2] ولتمكك النّاس بها بمعنى ازدحامهم [3]، وفي رأي البعض أن الاسم مشتق من لفظ "مكا" البابلية التي تعني البيت، وأمّا بكة فهو اسم لبطن مكة لأنّهم يتباكّون فيها وهو ازدحامهم أيضا [4]. وحسب معنى الكلمتين فإنّه يؤدي إلى نفس المفهوم.

و لهذا يبدو أن الاختلاف في الحرف الأوّل من الكلمتين الباء و الميم، ومثل هذه الاختلافات موجودة إلى يومنا هذا.

كما ذكرها بطليموس الإسكندري [5] باسم "ماكورابا" في كتابه للجغرافيا، و هي تقابل كلمة " مكرب " لقب ملوك اليمن قديما و تعني" مقرب " لأنّ مكة تقرّب إلى الإله[6].

---

(1)- ياقوت الحموي – معجم البلدان، منشورات مكتبة الأسدي 7، طهران 1965م، مج4 ص616 وما بعدها.

(2)- ياقوت المصدر السابق.

(3)- البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تحقيق محمد البجاوي ط1 دار إحياء الكتب العربية 1955، ج3، ص1303.

(4)- ابن هشام السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وآخرون ط2 مطبعة ومكتبة مصطفى البابل الحلبي وأولاده مصر 1955 القسم الأول ص114.

(5)- بطليموس الأسكندري كلوديوس، عالم فلك ورياضيات وجغرافيا وفيزياء، ومؤرخ يوناني مصري نشأ بالإسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني ميلادي وتوفي بعد عام 161 م له كتاب يسمى الجغرافيا. انظر محمد شفيق غربال الموسوعة العربية الميسّرة، دار إحياء التراث مج1 ، ص381 .

(6)- علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1 دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة بغداد 1971، ج4، ص188.وكذلك أنظر:

- توفيق برّو، تاريخ العرب القديم ط1 دار الفكر دمشق 1984، ص19، 20.

- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية بدون تاريخ ص295.

Lammens .s.j –La mecque a la veille de l'hégire, imprimerie catholique, Beyrouth, 1924 page 22.

-Caussin des Perceval,Essai sur l'Histoire des arabes,T1,Paris 1847,p283.

ويبدو أنّ هذا الاسم لـه علاقـة بالبيت العتيـق الـذي كـان سـر شهرتها كعاصمة دينية [1].

كما جاء ذكرها في القرآن الكريم على أنـّها بكّة في قوله تعالى:"إنّ أول بيت وضع للنّاس للذي ببكة مباركا وهُدىً للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين"[2]. وقد فسّر الإخبار يون أن بكّة مـوضعا مـا أو موضع البيت الحرام أو بطن مكة [3]، ويرى بعضهم أن بكّة هـي نفسها مكـة أُبدلت فيها الميم باءً علـى عادة أهل الجنوب [4]، وذكر بعضهم أسماء أخرى لمكـة منهـا النساسة والنـاسة مـن نسّ بمعنى يبس وأجدب، والباسة لأنـّها تبس أي تحطـّم الملحدين وتـخـرجهم، وسميت أيضا بأم رحم و معاد والحاطمة لأنّها تحطـّم مـن استخف بـهـا، و صلاح، و العرش، والقادس لأنّها تقدس أي تطهّر من الذنوب، والمقدسة وكوثـي باسم بـقعة كانت منزل بني عبد الدار[5]. كما وردت أسماء أخرى فـي القرآن الكريـم منهـا (أم القرى) فـي قوله تعالى:" ولـتنذر أم القـرى ومن حولها "[6]، والـبـلـد الأمين فـي قولـه عـزّ وجل:" والتّين والـزيتون و طور سِنين وهـذا البلد الأمين " [7]، والبلد فـي قـولـه تعالى: " لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد " [8]، وغيرها من الأسماء.

---

(1)- أحمد أبو الفضل عوض الله – مكة في عصر ما قبل الإسلام – ط2، 1980، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز 10، ص35.
(2)- القرآن الكريم، سورة آل عمران الآيات 96، 97.
(3)- ياقوت، نفس المصدر ج4، ص475.
(4)- جواد علي، نفس المرجع ج4، ص189.
(5)- عوض الله أحمد – نفس المرجع ص36.
(6)- القرآن الكريم، سورة الأنعام آية 92.
(7)- القرآن الكريم، سورة التين آيات1، 2، 3.
(8)- القرآن الكريم، سورة البلد آية 1، 2.

وممّا يلاحظ على جميع الأسماء السابقة الذكر على أن مكة كانت مقاماً ومركزاً دينيا أسسه سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وكانا يدعوان النّاس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى و مجاوراتها.

2- مكة جغرافيا:

- ترجع أهمية مكة إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي كونها تربط بلادي الشام شمالاً واليمن جنوباً، فهي محطة للقوافل الآتية من الجهتين.

كما أنّها تقع في واد غير ذي زرع كما وصفها بذلك القرآن الكريم في قوله عزّ وجل:" ربّنا إنّيَ أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم، ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " [1] صدق الله العظيم. وتشرف عليها جبال من جميع النواحي، خاصة جبلي أبوقبيس شرقاً، وقعيقعان غرباً [2]، وربّما هذا الذي جعل أهلها يبحثون عن أراضي خصبة صالحة للزراعة في أماكن أخرى خارج مكة ومنها الطائف ويثرب، وجعلهم يهتمون أيضا بنوع معاشي آخر، وبالتجارة لما تدرّ عليهم من أرباح ولمَا تسدّه من حاجاتهم الضرورية والكمالية، وتسمّى المناطق المنخفضة نسبيا من ساحة مكة البطحاء. وهناك ظواهر مكة أي أطرافها وحواليها، وهذا ما أدّى إلى تقسيم سكان هذه المناطق إلى قسمين وهما قريش البطاح، وقريش الظواهر، وهو ما سيأتي ذكره في ما بعد. وحسب ما رواه البعض بأن موقع مكة في منطقة جافة

---

(1)- القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 37.

(2)- ياقوت الحموي نقلا عن إبراهيم حسن – التاريخ الإسلامي العام – الجاهلية – الدولة العربية، الدولة العباسية، مكتبة الصفقة المصرية وكالة المطبوعات الكويتية 1972 ص96.

- البغدادي – مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوي الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية 1955 ج3، ص1303. Lammens –op.cjt .p.86 وكذلك أنظر

Blachere (R),Le problème de Mohamed Paris1959,p15.

وحرارتها صيفاً أدّيا إلى عدم وجود الماء، و بالتالي لم تصلح أرضها لأن تكون ذات نخيل و زَرع و حَبّ[1]، لكن في الواقع فقد وُجدت هناك مياه كثيرة في الآبار التي حفرها أصحابها كبئر كر آدم بالمفجر، و بئر خم التي كانت لبني مخزوم، و بئر رم التي حفرها مُرّة بن كعب بن لؤى، و بئر العجول التي حفرها قصي[2]، فإذا لم تكن هنالك مياه فلماذا كانت القوافل تمر بمكان و تنزل به و ليس فيه ماء؟خاصة وأنّها تقطع رحلة شاقّة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها ؟،غير أن أهل مكة لم يستغلوا هذه المياه في ري أراضيهم، و انشغلوا بالتّجارة لكثرة أرباحها و بَزّوا فيها غيرهم من التجار العرب و الروم و الفرس، و عن طريقها امتلكوا أراضي خارج مكة في الطائف و يثرب و في الواحات الخصبة أين كان يزرع القمح و الخضروات و الأشجار[3]، و هذا عكس ما نجده جنوباً أي جنوب الجزيرة أين تتوفر المياه و تستغل بشكل منظّم عن طريق السدود مثل سدّ مأرب هذا الأخير الذي تأثرت الزراعة و الإنتاج بانهياره، ممّا يدل على الارتباط الوثيق بين تنظيم المياه و الري بتطور الزراعة و الإنتاج.

---

(1)- جواد على – نفس المرجع، ج4، ص5.

(2)- الازرقي – أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق رشدي سالم ملحس الطبيعة الثانية مطابع دار الثقافة مكة، المكرّمة ج2، ص173.

- ابن هشام – السيرة، ج1، ص158.

(3)- عادل أبو النصر – تاريخ الزراعة القديمة، ط1، بيروت، لبنان، 1960 م، ص176.

- Huway in (S.A),Arabia and the Far EAST, cauo,1942 P142-3

وعلى أيّة حال فإن موقع مكة في تلك المنطقة المشار إليها بالرغم من قساوة المناخ والظروف البيئية الأخرى لم يمنعها من أن تكون لها أهمية تجارية، وتشبه بـــذلك بعض مناطق جنوب الصحراء الإفريقية، خاصة المغرب أين قامت بعض المناطق نفس الدور التجاري في ربط العلاقة بين الشمال والجنوب الأفريقي على غرار ما قامت به مكة في شبه الجزيرة العربية.

3- مكة تاريخيا:

تأسست مـكة حوالي منتصف القـرن الخــامس الميــلادي [1]، و يــرى البعض أن تاريخها يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد [2]. وكان أوّل من سكنها، العمالقة، ولما أنزل إبراهيم ولده إسماعيل مكة مع هــاجر كــان موضع البيت ربوة حمراء، فأمر إبراهيم هاجر أن تتخذ عليه مسكناً لهما ثــمّ نــبع الله لهما زمزم، فتفرق العمالقة في البلاد ومَنْ هُناك من بقايا عاد وذهب بنو كركر وهم من العمالقة إلى مكة واستأذنوا هاجر في النزول بها فكان لهم ذلك، ولمّا علمت جرهم الثانية بنزول بني كركر الوادي اتّـجهوا صوب مكة و نزلوها و استوطنوهـــا مع إسماعيل ومن تقدمهم من العمالقة وتكلّم معهم إسماعيل العربية، هــذا مـــا رواه المسعودي [3] من خلال هذه الرواية يتّضح بأنّ المكان الذي بنيت فيه الكعبة لم يكن

---

(1)- على إبراهيم حسن – التاريخ الإسلامي العام، ص96

(2)- محمد بيومي مهران – تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص397، 398

(3)- المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، الطبعة الأولى، دار الأندلس بيروت 1965، ج2، ص46 .

- Lammens(H) Age de Mohamed, Rome1924.
- WAH (WM),Mohammad At MECCA, p209 ,ox Ford 1953,p3

به أحد حتى مجيئ سيدنا إبراهيم وزوجته هاجر مع ابنهما إسماعيل، بالإضافة إلـــى أنّ الراوي تكلّم عن جرهم الثانية ، ولا ندري من تكون جرهم هذه ؟ .

وكيف عرف إبراهيم مكان البيت، قد يكون بإلهام من الله عزّ وجل الذي أوحى إليه بالمكان، ثمّ ذهب إلى الشام، وبعد سنتين عاد إلى مكة ليتفقّد زوجـته وابـنه الـذي تعاون معه في بناء البيت فيما بعد، ولكن هل أنّ سيدنا إبراهيم قد بنى هـذا البيت فعلا؟ أم أنّه كان مبنيا منذ سيّدنا آدم عليه السلام ؟ لأن الأزرقي يورد روايات مفادها أن الملائكة هم الذين بنوا البيت أو الكعبة بأمر من الله سبحانه وتعالى ، ويورد أيضا أن سيدنا آدم هو الذي بناه بأمر من ربّه ليطوف النّاس به ويعظّمونه كما تعظّم الملائكة البيت المعمور في السماء [1]. ويورد أيضا أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذي بناه على أنقاض البيت الذي بناه سيدنا آدم [2]. وهناك من يروي بأنّه أقيم على أنقاض معبد قديم للعماليق جرت عليه أحداث تاريخية وجغرافية غيّرت من طبيعة المكان وأهمل إلى أن جاء سيدنا إبراهيم الذي رفع قواعده [3].

على أنّه ما من شك في أنّ البيت قد بناه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى:"وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا

---

(1)- الأزرقي – أخبار مكة ج1، ص34

(2)- نفس المصدر، ج1، ص58 وما بعدها.

(3)- محمد بيومي مهران – دراسات تاريخية في القرآن – كلية العلوم الاجتماعية، السعودية، 1980 م ص183.

وكذ:

-HITTI (P.K),Histoury of The arabs,London1960,P60.

تشرك بي شيئا وطهّر بيتي للطائفين و القائمين والركّع السجود وأذن في النّاس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر ياتين من كلّ فجّ عميق" [1].

وفي قوله عزّ وجل:" و إذ جعلنا البيت مثابة للنّاس وأمناً واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلىً وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين و الركعّ السجود. وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلدا آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثمّ أضطره إلى عذاب النار، و بيس المصير. و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم " صدق الله العظيم.[2] وفي قوله تعالى:" إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين. فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين".[3] وكذلك ما أشار إليه بعض المحدثين [4].

---

(1)- القرآن الكريم، سورة الحج، الآيتين 26، 27.
(2)- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآيات 125، 126، 127.
(3)- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيتين 96، 97.
(4)- عبد الحميد سعد زغلول – في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية بيروت 1976، ص404
- Esinemel – la mecques, ville bénie - éditions albin Michel .paris pp.18.19

وأمّا بنـاؤه اليـوم فـهـو لـيس البناء الـذي بناه سيـدنا إبراهيم عليه السلام، وإنّما هُدمَ وأعيد في عهد قريش وبعده أيضا.

ونعود ثانية إلى قضية جرهم و العمالـقـة، فـابـن خـلـد ون يـرى أن جرهما من ديار العمالـقـــة [1] أتـوا مـــن اليمـن مع الحضرميـيـن نحـو تهـامـــة فارّيـــن مـن القحـط، وطالـــبين الماء والـــرعـي، وفـــي طريـــقهم وجدوا هـاجـر مـع ابنها إسمـاعيل فنزلوا أسفل مكة بقـعيقعان، وتـــزوّج إسماعيـل مـن امـرأة جـــرهمية وهـــي حـــرّا بـنت سعد بن عـــوف بن هانـــئ بن جـرهم والتي طلقها بأمـر من أبيـــه، وتزوج ابنـــت أخيه مـــامـــة بـنت المهـلهـل بـن سعد بـــن عـوف وتـــزوّج بثـالـثـة وهـــي الـسيـدة بـنـت الـحـــرث بـــن مـضـــاض بـــن عـمـــــر بـن جـرهـــم[2]، وقـــام بـشـؤون هـذا الـمـــــجتمع مـــن جـديد، وخـلـفـه من بـعده أبنـاؤه و أحفـاده، و قسّمت الـولاية بـين أولاد إسماعيل بمكة و أخوالهـم من جـرهم [3].

---

(1)- ينسب بن خلدون العمالقة إلى أحد أبناء عمليق بن لاوذ من أبناء يقطن بن شالخ بن أرفخشد

(2)- عبد الرحمان بن خلدون كتاب العبر ودوان للمبتدأ والخبر... دار الكتاب اللبناني، 1956 م، ج2، ق2، ص683.

(3)- هناك اختلاف فيمن تولى الأمر، هل جرهم أو أبناء إسماعيل، فالبعض يرى أن جرهمًا تولت الأمر، بينما تولى أبناء إسماعيل مفاتيح الكعبة وسدانتها، ويرى البعض الآخر أن قدار بن إسماعيل هو الذي توّجته جرهم بالملك وأن الذي قام بأمر البيت "ثابت بن إسماعيل"، ثم أناس من جرهم إستمرت ولايتهم حتى القرن الثالث الميلادي.أنظر في ذلك:

- ابن خلدون – المصدر السابق، ص 686.

- القلقشندي – صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922 م، ج4، ص 261.

SEDILLOT - HISTOIRE GENERALE DES ARABES, Paris, P.P 41.42

وحدث أن تصدّع سد مأرب في جنوب شبه الجزيرة العربية، فكان السيل العرم، فتفرقت القبائل اليمنية فيها، و منها من قدم إلى مكة و ضايق أهلها كبني حارثة، وبلغت تلك المضايقة إلى حدّ النزاع الحربي و كان يقودها عمرو بن عامر الذي كان يُدعَى "مريقاء بن السماء" [1]. وبدورهم تفرّقوا بعد نزاعهم فبقي ابنه عثمان بمكة، بينما توجهت فرقة إلى عمّان، وهم أزد عمّان، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام، ونزلت الأوس والخزرج المدينة، وغسّان الشام، وتولت خزاعة وهم قوم ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر أمر مكة وحجابة الكعبة [2].

وكان أوّل من تولى منها، عمرو بن لحي الذي اشتهر وذاع صيته وعلت مكانته بين العرب في أنّه جلب الأصنام للبيت، وهذا الأخير الذي كان له الفضل الكبير على أهل مكة، فبفضله يقصدها الناس من أنحاء العالم للحج، وعُرف هذا البيت بالبيت العتيق و قادس وبادر والكعبة لأنّه على شكل مكعّب، كما عُرفت هذه الكعبة بالقرية القديمة [3].

---

(1)- الأزرقي – أخبار مكة، ج 1، ص 8.
(2)- نفس المرجع ، ص8
(3)- جواد علي – المرجع السابق، ج4، ص 7.

قال أحد الشعراء في عمرو هذا:

يا عمرو إنّك قد أحدثت آلهـــــة ... شتى بمكة حول البيت أنصابـــــا
وكـــان بالبيت ربـًّا واحـــــدًا ... فقد جعلت له في الناس أربابـــــا
لتعرفن بـــــأن الله في مهـــــل ... سيصطفي دونكم بالبيت حجابـــا[1]

ويروي ابن الكلبي بأن عمرو بن لحي عندما أتى بالأصنام إلى مكة دانت له العرب واتخذوها عبادة، منها مناة التي نصَبها بين المدينة ومكة وكانت العرب تعظّمه وتذبح وتهدي له [2]. ولعلّ عَمروًا هذا أراد كسب العرب والتحكم فيهم بجعل تلك الأصنام وإيهامهم بها حتى يحصل على الأموال والزعامة على أنّه فيما بعد نجد قريشا أخذت زمام الأمر لتجعل من مكة مركزًا تجاريا هامًا لا ينازعها في ذلك أحد و إلاّ كيف نفسّر إتيانه بالأصنام من مكان وجعلها في ذلك الموقع بالذات أي مكة؟ .

واستمرت خزاعة على الولاية مدة 03 قرون وكان آخرها حُلَيْل بن حُبْشية ابن سلول الذي زوّج ابنته حُبىَّ من قصي بن كلاب الذي تولى الأمر بعده، وقد ذكر اليعقوبي بأن قصيا يدعى زيدًا بن كلاب [3] وقد سمّي بقصي لأنّه أقصي عن عشيرته كنانة الساكنة في مكة بعد وفاة والده، إلى الشام من طرف أمّه

---

(1)- على إبراهيم حسن – التاريخ الإسلامي العام،الرياض1992 ص99.
(2)- ابن اكلبي – كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965م، ص131
(3)- اليعقوبي – تاريخ اليعقوبي، الطبعة الأولى، بريل 1969، الجزء الأول، ص37
- ابن هشام – السيرة، القاهرة1955 ق1، ص117، 118

التي تزوجت من رجل قضاعي من قبيلة عذرة، لكنه عاد إلى مكة عند أخيه زهرة، وتزوّج من ابنة زعيم خزاعة المذكور آنفا، وآل إليه الأمر بعد وفاة والدها [1] لكن كيف آل الأمر إليه؟ بأي طريقة؟ هل أنّ والد زوجته أوصى له بالخلافة؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا هو بالذات ؟ هل كان كفؤاً لذلك ؟ أم بسبب عدم وجود أولاد ذكور؟ أم أنّه استولى عليها عنوة و بالقوة للتّحكم في أمر مكة و البيت والكعبة خاصة؟ .

فهنا تختلف الإجابات، فحسب ابن سعد فإن حليلاً بن حبشية بن سلول أوصى بالخلافة إلى ابنته التي عجزت عنها فتركتها لزوجها، أو أن حليلا أورثها ابنه المخرش الذي يلقب بأبي غبشان الذي دعاه قصي وسقاه ثمّ اشترى منه سدانة الكعبة بزق خمر وبعير [2]. وفي رواية أخرى نجد أنّ أبا غبشان لم يكن ابنا لحُليل وإنّما شريكاً له [3].

أمّا ابن الكلبي فيروى بأنّه بعد وفاة حليل رأى قصي أنّه أولى بالبيت وبولاية مكة من خزاعة وبكر، فجع قومه من كنانة وقريش واستنصر إخوته لأمه و هم بنو عذرة من قضاعة، و بعد اقتتالهم تصالحوا وحكّموا يعمر بن الكناني الذي

---

(1)- توفيق برو – تاريخ العرب القديم، ط2 دار الفكر دمشق، سوريا، 1996م، ص172.
(2)- محمد بن سعد – الطبقات الكبرى دار التحرير، القاهرة 1968م، ج1، ص37.
(3)- التقي الفاسي – العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، بدون تاريخ ج1، ص 146.

حكم بولاية قصي بن كلاب البيت و مكة من خزاعة [1] ومن ذلك الحين أصبح قصياً صاحب الأمر والنهي في مكة مع قومه قريش، و هم الذين استقروا وتحضّروا و اشتغلوا بالتجارة و حصلوا منها على غنائم طيّبة، و أصبحوا الطرف في ربط علاقة مكة التجارية بشمال و جنوب شبه الجزيرة العربية، لذا سأتعرض إلى إعطاء نبذة عن نَسبهم و تسميتهم.

4- قريش:

اختلف المؤرخون حول هذا الاسم – أي قريش – فمنهم من يرى أنّهم من نسل النضر بن كنانة بن فهر بن النضر، و النضر هو الذي يسمّى قريشاً [2]، و منهم من يقول بأنّهم من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة [3]. وقيل إن الاسم مشتق أو اشتق من التقرّش بمعنى الكسّب و التجارة، و بمعنى التجمّع بعد التفرّق لأن قصياً جمع بطون كنانة و ناهض بهم خزاعة، وقيل سميت بذلك بدابة في البحر تسمى القرش و ليس قريشا كما جاء في القلقشندي و ربّما هو سمك القرش الضخم و القوي جداً، لذلك سميت به تشبيها لغلبتها القبائل و قهرها إيّاهم، لأن سمك القرش يقهر سائر دواب البحر [4].

---

(1)- التقي الفاسي – المرجع السابق، ج1، ص146.
وكذلك ابن خلدون، العبر، ج2، القسم الثاني ص691.
- توفيق برو، المرجع السابق، ص173.
(2)- ابن خلدون – المرجع السابق، ص669. انظر أيضا القلقشندي – المرجع السابق، ج1، ص351، 352.
(3)- الفاسي – المرجع السابق، ص145.و كذلك جواد على – المفصل ج4، ص18.
(4)- القلقشندي – المرجع السابق ج1، ص352.

كما عرفت قريش بأسماء كثيرة منها العالمية لفضلهم وعلمهم، و سميت بآل البيت، و آل الله و جيران الله و سكان الله.[1]

وقريش على نوعين أو قسمين، قريش البطاح لتجمّعهم في أبطح مكة و الكعبة في وسطهم، وهم عدة بطون منها بنو هاشم و بنو أمية وهم أصحاب القوافل و الغنى والجاه، اتخذوا التجارة و رعاية البيت الحرام مورداً يتعيشون منه. [2] و أمّا الظواهر فهم الذين يسكنون ظاهر مكة أي خارجها و أطرافها. [3] وكانوا من بطون قريشية مختلفة و هم أقل مكانة و جاها، و قد رُوي أنّهم كانوا يمارسون الغزو والغارات و لذلك اعتبروا بُداةً أو شبه مستقرين و لم تكن حالتهم المادية حسنة و أهم قبائلهم بنو محارب و الحارث بن فهر، بنو الأدرم بن غالب بن فهر، بنو هصيص بن عامر بن لؤي. [4]

وقد سكن إلى جانب هؤلاء جماعات من العرب تحالفوا مع قريش في عهد قصي و تولى عقد الحلف ابنه عبد مناف الذي يسمى حلف الأحابيش نسبة إلى المكان الذي تمّ فيه و هو وادي حبشي الذي يقع على بعد ستة أميال من أسفل مكة [5] كما سكن ظواهر مكة وضواحيها جماعات من الأجانب و اللاجئين و الأرقاء و من صنّاع وعمّال و فنّانين جاؤوا من داخل شبه الجزيرة و معظمهم من خارجها. [6]

---

(1)- على إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص101.
(2)- الفاسي – المرجع السابق، ص145.
- من بينها البطون قبائل عبد مناف، بنو عبد الدار، بنو عبد العزى أبناء قصي – زهرة، مخزوم، تيم بن مرّة جمح، سهم، عدي، بنو عتيك بن عامر. انظر توفيق برو، المرجع السابق، ص174.
(3)- ابن خلدون – المرجع السابق، ج2، ق2، ص689.
(4)- توفيق برو، المرجع السابق ص174.
(5)- اليعقوبي ج1، ص199. ويرى البعض الأحابيش هم بنو الهون و بنو الحارث من كنانة، و بنو الصطلق من خزاعة تحبّشوا أي تجمّعوا فسمّوا بذلك.
(6)- توفيق برو – المرجع السابق، ص174.

و مهما يكن الأمر فإنّ اسم قريش[1] قد يكون مصطنعاً أو صحيحاً، لأنّه لا توجد هناك أدلّة قطعية فهو غير واضح، وقد يكون اسم شخص أو غيره، وكلّهم أي قريش والقرشيون يرجعون إلى كنانة جدّهم أو النضر ابنه، فالمهم هو أنّ قريشا استطاعت أن تطوّر مكة في تلك الفترة الزمنية اقتصاديا خاصة من الجانب التجاري، بعد أن نظّمت المدينة سياسيا ويمكن أن نشبّهها بدولة المدينة في اليونان القديمة، وهذا ما سنتعرض له في الفصل الأول من البحث حول التنظيم السياسي والاجتماعي والديني لمكة.

1-William (M) the life of Mohamed Ediberg,p1923,p33.

الفصل الأول

الفصل الأول :

- التنظيم السياسي والاجتماعي و الديني لمكة.

- التنظيم السياسي.
- التنظيم الاجتماعي.
- التنظيم الديني .

التنظيم السياسي والاجتماعي والديني لمكة :

1- التنظيم السياسي :

التكوين السياسي في شبه الجزيرة العربية قائم على أساس قبلي، حيث تتصرف القبيلة بوصفها كيان سياسي قائم بذاته سواء في الداخل أو في الخارج، سلماً أو حرباً، في التحالفات أو المناورات و الاتفاقات و غيرها.[1]

وقد سادت هذه الحياة القبلية شبه الجزيرة العربية في الحجاز خاصة في مكة والمدينة والطائف [2]. ففي بداية القرن السادس الميلادي أصبحت مكة ذات كيان مالي وسياسي مستقل [3] بعدما تولى قصي بن كلاب أمرها ، وبحكمه استقرت قريش في مكة ونهضت بها وأظهرت قدرة على التنظيم ، فاستطاعت أن تقيم نوعاً من التنظيم الحكومي فيها [4].

على أنّ طابع الحكم الذي أقرّه قصي حضري في مظهره، قبليٌ في جوهره ، فقد بنى قصيا داراً لإدارة الشؤون العامّة في البلاد و تنظيم الحكم فيها، وجعل بابها مقابلا

---

(1)- عبد الوهاب لطفي ، العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة 2 دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1979م ، ص342 .

(2)- علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص37 .

(3)- أحمد إبراهيم الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة - الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، 1968م ، ص 14.

(4)- نفسه ، ص16.

وكذا: -Lammens (H) La république Mohamed de la Mecque, Paris 1920 P22 .

و مؤدياً إلى الكعبة [1] وأصبحت المقر الذي يجتمع فيه سادة قريش و زعماء بطونها و وجوههم من كبار التجار أصحاب القوافل التجارية، الذين جمعوا بين التجارة و السياسة و الإدارة و الدين و الحرب، لأن نظام الحكم في مكة احتكرته طبقة التجار في بيت زعيمها قصي بن كلاب، و يشكّلون مجلساً رئاسيا يدعى بمجلس الملأ وهو يشبه مجلس الشيوخ الروماني، وقد سمّي هذا المقر دار الندوة [2] فهذا النظام يمكن أن يُشَبَّه بنظام دولة المدينة المستقلة، ففي هذه الدار كانت قريشا تعقد لواء الحرب إذا خرجت لهذا الشأن، وفيها يتم تجهيز القوافل التجارية للرحيل، وتحل فيها إذا رجعت، وفيها يُختّن الأطفال و تدرّع الفتيات حين يبلغن سن الرشد و يتزوجون فيها أيضا [3].

على أنه لا يسمح لمن لم يبلغ سن الاربعين الدخول إلى دار الندوة أو الاشتراك في مجلسها إلاّ إذا كان من بني قصي و حلفائهم من رؤوساء العشائر، أو كان ذا رأي ومشورة وحكمة [4] .

---

(1)- برّو – المرجع السابق ، ص174 ، 175 .
(2)- نفسه ض175 وكذلك زغلول – في تاريخ العرب القديم ،القاهرة 1981، ص288 .
(3)- انظر اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص199 وكذلك إبراهيم الشريف ، دور الحجاز ص 19 و السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام، القاهرة 1970، ص 315 .
(4)- انظر برو – المرجع السابق ص 175 .
- على إبراهيم حسن – المرجع السابق ص 103.
- بيومي مهران – المرجع السابق ، ص 406.
- أحمد إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص 129.

وعندها يصدر مجلس الملأ أحكامه، يصدرها على حسب التقاليد و الاعراف القبلية، فلم يكن هناك قانون مدوّن، فنظام مكة السياسي عبارة عن اتحاد عشائر و بطون ارتبطت على سبيل التعاون لخدمة الكعبة و قُصَّادهَا و لتنظيم تجارة القوافل و تسييرها [1]، ويمكن لبعض العشائر أن تتخلص من الأحكام التي أصدرها مجلس الملأ عندها يرى أنّ مصلحته لا تتماشى معها [2] .

وقد تولى قصي بنفسه رئاسة دار الندوة و أشرف على جميع المناصب الأخرى . فكانت له حجابة أو سدانة الكعبة ، حيث تحفظ لديه مفاتيحها ، فهو الذي يفتح بابها للناس و يأذن لهم بدخولها ، و لا تقام فيها شعائر دينية إلاّ بإذنه أيضا [3] .

---

(1)- برو – المرجع السابق ، ص1976 .
(2)- إبراهيم الشريف – دور الحجاز، الرياض1986 ، ص17 .
(3)- ابن خلدون – المرجع السابق ، ج2 ، ق2 ، ص693 ، وكذلك زغلول ، المرجع السابق ، ص 289.

و لـــــه السقـاية أي تدبير المـــاء الصـالح للشـرب مـن الآبـار المجـاورة للكعبة وجعله في أحْوَاض أو قرَب لسقاية الحجيج.

وأمّا الرفادة ، فهي إطعام الحجيج في منـىَ وعـرفـات [1] ، و في هذا المجال فرض قصي خراجًا على قريشي تقدمه كل عام حتى تكفي الـرفـادة كـل النـاس وقـد يـكـون القصد من ذلك ترغيب الناس على الإقبال إلى الحج و مؤاكلة القبائل العربية التي تعدّ بالنسبة لقريش بمثابة عقد جوار فـي عرفهـا فتـكـون بذلك قد تعاقدت معهـا بـرابطة الجوار و الأمن و يحقق لقوافلها السير بأمان فـي أراضـيها [2] و كان هذا العمل من قصي ينطوي عـلـى حـكـمـة سياسية كـبيـرة. و بالإضافة إلى ذلك كان له عقد اللواء الحربي وهو راية تلوى على رمح تُنْصَبُ عليها علامة الجيش عند التوجّه لمحاربة العدو فيجتمع المقاتلون تحتها ويسلمها لمن يتولى القيادة العامة [3]. كما تولى أيضا قيادة أو إمرة الجيش وأحيانا يسلمها لأحد يختاره عندما يراه أهلا لذلك.

---

(1)- إبراهيم الشريف- المرجع السابق، ص133.
(2)- برو- المرجع السابق، ص176.
(3)- إبراهيم الشريف- المرجع السابق، ص134.
وكذا:

- Cor nawel(P.B),the Ancient Arabia ,London 1946,P18.
- -Groh man (A) Arabiers,Munichen.1963,P94.

وربّما يكون قصيا قد تأثر في نظام دار الندوة بنظام الروم البيزنطيين في الشام , فأتى به إلى مكة وجعله في داره ، و بعد أن ضاقت قرّر بناء أخرى للاجتماع و التشاور و التي تسمى بذلك الاسم أي دار الندوة أو دار الجماعة [1].

على أنّ الأمور لم تبق هكذا، فلكثرة هذه المناصب و المهام وهرم قصي ، هذا الأخير عَهدَ لابنه البكر عبد الدّار بجميع الوظائف السابقة الذّكر و تولاّها من بعده أولاده[2]. وهناك من يرى أنّه قسّم أمر مكة على ابنيه عبد الدار الذي أعطاه السدانة أو الحجابة ، و دار الندوة ، و اللواء . و عبد مناف الذي أعطاه السقاية و الرفادة و القيادة [3] ، غير أن صراعاً قام بين بني عبد الدار و أبناء عمومتهم بني عبد مناف ، هؤلاء الأخيرين الذين رأوا أنّهم أحقّ بالأمرين الأولين ، وكاد هذا الصراع أو النزاع من أجل الأشراف على تلك المهام أن يؤدي إلى حرب بعدما تحالف كلاهما مع عشائر وبطون أخرى ، فتحالف بنو عبد مناف مع بنو الحارث بن فهر، وبنو أسد بن عبد العزّى ، و بنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة ، وأخرجوا جفنة مملوءة طيبا وغمسوا فيها أيديهم و مسحوا بها الكعبة و سمّي هذا الحلف باسم المطيبين .

---

(1)- بروّ – المرجع السابق ، ص175.
(2)- ابن هشام – المرجع السابق – ج1 ، ص136.
(3)- إبراهيم حسن – المرجع السابق ، ص104.
-Hogar the (D G) a History of Arabia .London.ox Ford.1922.p84

وأمّا بنـو عـبد الدار فتحالفوا مع بنو سهم و بنو جمح ، و بنـو عـدي بن كعب ، وبنـو مخزوم بن يقظة ، و أخرجوا جفنة مملوءة دمًا وغمسوا فيها أيـديـهم و مسحـوا بـهـا الكعبة ، فسُمّوا بالأحلاف و لعقة الدم [1].

عـلـى أنّه جرت محاولات و مساعي للتفاوض و حل الأمور سلمياً دون اللجوء إلـى القـوة و الـحرب ، فكـانت هناك اتصالات بـين تلـك القبائـل المتحالـفـة مع الطرفـيـن ونجحت في الصلح في أن يتولى بنو عبد مـناف السقـاية و الـرفـادة ، بينما يتولى بنو عبد الدار الحجابة و اللواء و رئاسة دار الـنـدوة . وأعـطى بنـو عـبد مناف الرفـادة لأخيهم هاشم [2] بدل أخيهم الأكبر عبد شمس ، أو إنّهم أقاموا القرعة بينهما ، وقـيل بأن السقاية و الرفادة لهـاشم بن عبد مناف و القيـادة لعـبد شمس [3] واستطـاع هاشم أن يقوم بالوظائف الموكلة إليه خـاصـة وأنّـه يشتغل بالتجـارة التي جعلت منـه غنيـا،

---

(1)- ابن خلدون – المرجع السابق – ج2- ق2- ص694 ، والمسعودي – المرجع السابق – ج2 ، ص32 ، 33 وكذلك إبراهيم حسن – المرجع السابق ، ص104 ، المرجع السابق ، ص177.

(2)- قيل أن اسمه عمرو وكان يهشّم الخبز لقومه بعد أن حدث جدب شديد في مكة، فخرج إلى الشام واشترى خبزا وأتى به إلى مكة وصار يهشمه لقومه فسمي بذلك هاشم . انظر في ذلك الأزرقي – المرجع السابق ج1 ، ص63 – وعلى إبراهيم حسن – المرجع السابق ، ص105 وكذلك عبد العزيز سالم – المرجع السابق ، ص318.

(3)- الأزرقي – المرجع السابق ، ج1 ، ص63.

وكذا:

- Ency,of Islam,T4,P174.
- Lammens, (la Mecque a La veille de L'Hégire,op, cit,p289.

فكان يخرج كل عام مالاً كثيراً ، و يُثرد للحجاج الخبـــز و اللحم و السمن و التمر ، و يؤمّن لهم الماء ، ممّا أكسبه نفوذا و جاهاً بين القبائل العربية [1] ، وبعد وفاة هاشم خلفه في تلك المهام ابنه عبد المطلب ،لكن وهذا الأخير لقي منافسة ومضايقة من بني نوفل وبني عبد شمس مما أدى به إلى أن يعقد حلفا مع بني خزاعة وعلّق كتابه على الكعبة ، ونص على التضافـــر والتعـــاون والنصـــرة بيـــن الطرفيـــن في السراء والضراء[2] وكان أهم ما قام به عبد المطلب هو حفره بئر زمزم [3] وبنـــاء حـــوض للسقاية وجعله باب حديد للكعبة ،ثمّ ذهّب حليتها . وفي عهده كان غزو أبرهة الحبشي لمكة عام 571م أو570م وقد سبق ذكرها.

---

(1)- اليعقوبي – المرجع السابق- ج1، ص 280 وكذلك برّ، المرجع السابق، ص178

(2)- أنظر زغلول ، المرجع السابق، ص 294.

(3)- حفر عبد المطلب بئر زمزم بعد أن ردمتها "جرهم" بعد إنسحابها من مكة أو أن سيولا تعرضت لها مكة كانت سببا في ردمها ، وبعد أن تم حفرها نذر إن يكن له عشرة أبناء ليضحيّن بأحدهم ، وكان له ذلك وعندما أراد أن يوفي نذره ، منعه قومه من ذلك وافتدى أضحيته بالإبل حتى وصلت إلى مائة وهو ما أرشدته إليه عرافة وكانت القرعة قد وقعت على عبد الله وهو أصغر أبنائه وأحبهم إليه . أنظر في ذلك برّ، المرجع السابق ص 179،
هو زغلول ،المرجع السابق، ص295 ، ص297 .
- حفر زغزم كان سنة 540م على ما روي – أنظر في ذلك ل أ . سيديو- تاريخ العرب العام – ترجمة "عادل زعتر"- ط 2 عيسى البابي الحلبي وشركائه سنة 1969م ص ص 44 ، 52 .
وكذا: انظر:

- P.K.Hitti,op.cit,P104.
- W.M.Watt,op.cit,p9

ولم يكن لمكة جيش نظامي ثابت كالذي عرفته المجتمعات الكبيرة ، فقوتها العسكرية أو بالأحرى جيشها يتألف من رجال القبيلة أنفسهم ومن ينضمّ إليهم من رجال القبائل الأخرى التي تحالفت معها [1]، ولكون مكة مدينة تجارية ، كانت تلجأ إلى حلّ المشاكل و الخلافات سلمياً دون اللجوء إلى وسائل عنيفة لأن مصالحها التجارية تتوقف على حسن صلاتها بالقبائل المجاورة وغيرها [2] . إذن هذه هي المناصب الرئيسية التي برزت في عهد قصي و التي اقتسمها بعد ذلك أبناء عبد الدار و ابناء عبد مناف ابني قصي . غير أن تطلّع البطون القرشية إلى التقدم و المشاركة في شؤون مكة و حرص الملأ على وحدة القبيلة و إرضاء العشائر أدى إلى إضافة واستحداث وظائف و مناصب جديدة تمثلت في الأشناق أو الديّات وهي جمع الأموال الخاصة بالديات و المغارم بعد الحروب و القيام على آدائها [3] وكانت بيد تيم بن مرة [4].

---

(1)- إبراهيم الشريف – دور الحجاز – ص31.
(2)- نفسه ، ص31.
(3)- إبراهيم الشريف – مكة والمدينة ، ص135.
(4)- برو – المرجع السابق – ص182.

والأعنّة وهي قيادة الخيل و صاحبها يتولى خيل قريش يدبّر شؤونها في الحرب .

و السفارة و هي الاتصال بالقبائل الأخرى في المفاوضات و المنافرات وعقد الصلح بعد الحروب و الخلافات و عقد المحالفات [1]. و الأيسار وهي الأزلام التي يُضرب بها عند هبل كبير الأصنام في جوف الكعبة، و الحكومة و هي الفصل في المنافرات و الخصومات . و الأموال المحجّرة ، وهي الأموال المسماة للآلهة [2]. و العمارة وهي مراعاة الأدب و الوقار في البيت الحرام ، فلا يتكلّم فيه بجهر ولا رفث و لا ترفع فيه الأصوات . والحجابة وهي قفل البيت وفتحه للزائرين . والمشورة هي أنّهم لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على صاحبها ، والقبة هي خيمة تجمع فيها أسلحة الجيش [3] .

وممّا سبق يتّضح أن ذلك التنظيم التي كانت تتمتع به مكة في نهاية القرن السادس الميلادي مكّنها من احتلال مركز ريادي في شبه الجزيرة العربية و حضاها بنوع من الاستقرار و التنظيم السياسي في الوقت الذي كانت فيه الممالك العربية الأخرى قد تدهورت و وقعت تحت الاحتلال أو النفوذ الأجنبي .

---

(1)- إبراهيم الشريف – مكة والمدينة ، ص135.
- برو – المرجع السابق ، ص ص180 ، 183.
(2)- إبراهيم الشريف – المرجع السابق ، ص135.
- أحمد أبو الفضل – مكة في عصر ما قبل الإسلام ،الرياض1957، ص ص59 ، 60.
(3)- ابن عبد ربّه – العقد الفريد ، القاهرة1953، ج3 ، ص ص313 ، 315.

2- التنظيم الاجتماعي :

كان وسط شبه الجزيرة العربية في الغالب مجال مجتمعات بدوية رعوية، و في هذا الوسط أيضا عاشت القبائل و هي الوحدات السياسية الاجتماعية [1] على أنّ النظام القبلي قام على أساس التضامن بين أفراد العشيرة أو بين العشائر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة ، فالقبيلة هي الوحدة التي يتجمّع حولها الأفراد وقوة الأفراد من قوة الجماعة يتضامنون فيما يسمى بالعصبية القبلية [2] أين تربطهم رابطة النّسب ومع ذلك فإن تلك الوحدات السياسية الاجتماعية استقلت عن بعضها البعض ، فكانت قريش تشكّل قبيلة و عشيرة كغيرها من العشائر في مكة [3] إلاّ أنّ المجتمع القبلي المكي امتزجت به عناصر أخرى ، فبعد أن تولى قصي زعامة مكة جمع بطون قريش ، و سمّي بذلك مجمِّعاً ، قسّم مكة أرباعاً بين قومه فأنزل كل قوم منازلهم [4] على حسب نسبهم

---

(1)- عبد العزيز الدوري – مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، بيروت1969، ص10.

(2)- برو،المرجع السبق ص252.

(3)- حسين مروة – النزعات المادية ، بيروت1961ج1 – ص178.

(4)- المسعودي – المرجع السابق –ج2 ، ص32 ، وكذلك ابن خلدون – المرجع السابق ، ج2 ، ق2 ، ص692.
المرجع السابق ، ص174 – المرجع السابق ، ص ص287 ، 288.

وكذا أنظر:

-Musil(A),Northen, Nejd,N.Y1930,p225.

و صَنّـفهم أو قسمهم قسمين : بطاحاً و ظواهراً [1].

كما أذن للناس قطع الشجر للتوسيع عليهم و الاستعانة بأخشابها في بناء المنازل [2]، وبنى المشعر الحرام وكـان يقـوم عـليه أيــام الحج [3] ، وقد أثر هذا المشعر الحرام وخاصة الكعبة على الحياة الاجتماعية الـدينية بـل و الاقتصادية أيضا للمكيين وكافة العرب ، فهي قبلتهم ، وبذلك كثرت الطوائف و الجاليـات الأجنبية عـن مكـة، فـقـد سمحت قريش لـكـل الناس علـى اختلاف أجناسهم ونحلهم، من الوثنيين واليهوديـيـن والنصرانيين والصابئين بالمجيء إلى مكة [4] .

---

(1)- يذكر المسعودي بأن قريش البطاح هي عشائر أو بيوتات – وليس قبائل – بني عبد مناف وبني عبد الدار وبني عبد العزى بن قصي ، وبني زهرة وبني مخزوم ، وبني تيم بن مرة وبني جمح وبني سهم ، وبني عدي الذين عرفوا بلعقت الدم ، أما الظواهر فهم بنو محارب ، والحارث بن فهر وبنو الأدرم بن غالب بن فهر ، وبنو هصيص أو معيص بن عامر بن لؤي .
انظـر فـي ذلـك المرجـع الـسابق ، ج2 ، ص32 ، وكـذلك بـن عبـد ربـه الأندلـسي – المرجـع الـسابق ، ج3 ، ص319.

(2)- زغلول - المرجع السابق ، ص287 .
- بذلك العمل سمي قصي مجمعا ، وقال فيه الشاعر حذافة بن غانم بن عامر القرشي ثم العدوي :
قصي أبوكم يدعى مجمعا *** به جمع الله القبائل من فهر
انظر في ذلك ابن عبد ربه ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص312 ، 313.

(3)- المرجع السابق ، ج3 ، ص313.

(4)- إبراهيم الشريف ، دور الحجاز ، ص27.

لذلك نجد الكـعبة وساحـتهـا قـد احتوت أصنام العـرب التي كانت فـي اعتقادهـم أنـّها تقرّبهم إلى الله زلفى فكان لكل قبيلة أوثانهـا تأتي في الموسم لزيارتها وتقديم القرابين لها و بذلك أخذ عدد الأصنام يزداد عنـد الكعبة بمرور الزمن حتى وصل إلـى الثلاثـة مائة فكان منها الكبير و الصغير ، ومنها مـا هـو على هيئة الآدميـيـن أو عـلـى هـيئة بعض الحيوانات أو النباتات ، وكان أكبرها " هبل " الذي جعلته قـريش علـى شكـل إنسان مـن عقيق أحمر [1] . فالكعبة هـي ملتـقى عـواطف العـرب الروحيـة وخزانـة شرفهم و مجدهم بل حتى من الجانب الأدبي كان لها دور ، حيث تعلّق عليها القصائد و الأشعار الجيّدة [2] وتلقى أمامها بلغة عربية فصيحة تدل على تطوّر الثقافة العربيـة آنذاك [3].

على أن التشكيل الاجتمـاعي للسكان فـي مكـة كمـا سبقت الإشـارة إليـه فـي الأول هو تشكيل قبلي شأنه في ذلك شأن أغلب المجتمعات المجاورة لها مبني على التركيب

---

(1)- الأزرقي – المرجع السابق ، ج1 ، ص 120، 121.
- بيومي مهران –المرجع السابق ص421.
(2)- إبراهيم الشريف – دور الحجاز ، ص28.
- ل أ . سيديو المرجع السابق- ص47.
(3)- حسين مروة – المرجع السابق – ص 183.
- Musil, op.cit,P460.

طبقي تتصدره طبقة السادة و الأشراف وهم قمة العرش في جميع المجالات و تسمى بطبقة الصرحاء و هم أبناء القبيلة الأصليون المنتمون إلى قريش أي أنّهم أبناء القبيلة الواحدة الذين يرتبطون فيما بينهم برابطة الدم فهم الدعامة الأساسية لها و كانوا يلبّون نداء القبيلة و التضامن معها ظالمة أو مظلومة و في مقابل ذلك تسبغ عليهم حمايتها و تمنحهم حق التصرف كالإجارة و لا تسمح لهم الخروج على العرف و التقاليد [1].

وقد جعل القرشيون من أنفسهم أصل المجتمع المكي و كل من عداهم من العرب الأحرار انضم إليهم عن طريق التبعية بالحلف أو بالجوار فباقي السكان إمّا موالي لهم أو عبيداً [2] .

فطبقة الموالي يدخل فيها الحلفاء و هم الخلعاء الذي خلعتهم قبائلهم و فصلتهم عنها وتبرأت منهم لجرائم ارتكبوها، ثمّ دخلوا في قبيلة أخرى على أساس الموالاة بالجوار و يتم ذلك في الأسواق و المحافل [3]. كما يدخل ضمن هذه الطبقة الصعاليك [4]، إلى جانب العتقاء الذين كانوا في الأصل عبيداً ثمّ اعتقوا.

---

(1)- أبو الفضل عوض الله – المرجع السابق ص153.
- أحمد محمد الحوفي – الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، القاهرة ، 1956 ، ص230.
(2)- أبو الفضل عوض الله – المرجع السابق ، ص154.
(3)- نفسه ص155.
- إبراهيم الشريف –مكة والمدينة ص246.
(4)- من بينهم المشهورين : تأبّط شراً ، و السليك بن السلكة ، و الشنفرى ، وعروة بن الورد .

و كان لهؤلاء جميعا نفس حقوق الأفراد القبيلة التي يوالونها و عليهم نفس الواجبات إلى درجة أن بعضهم تمتع بمركز كبير داخل المجتمع المكي [1]. وقد أفسحت قريش صدرها لهؤلاء و أحلّتهم هذه المنزلة الرفيعة تبعاً لسياستها العامة القائمة على تنشيط التجارة و إشراك القبائل العربية فيها والحرص علـى حسن الصلة معها و رغبة فـي أن تبرز حرمة البلد الحرام و أنّه ملجأ العرب و مـهوى نـفوسهم إلـى جانب الانتفاع بجهودهم و خبراتهـم [2]. و كانت هـذه الطبـقة أرفع شأنـا و أكثر فاعلية فـي المجتمع الملكي من مثيلتها بين القبائل الأخرى لمـا لهـا مـن خلاص شديد لقريش لدرجة أنّـها كانت تقاتل إلى جنبها و في صفوفها أثناء الحروب.

و أمّا الذين ارتبطوا بالقبيلة عـن طـريق الجـوار و قـد يـكون عددهم كبيراً فلم يقوموا بدور فعّال لأن الجوار بطبعتيه صلة مـؤقـتة أدّت إلـيها دوافع وقتية لا تربط صاحبها بالقبيلة ارتباطا يحمله على المشاركـة الشديدة فـضلا عـن التضحية بالمال أو بالنفس وإنّما جاء يطلب الحماية و العون لا أن يبذلها لغيره [3].

---

(1)- ابن هشام، المرجع السابق ج2 ، ص367.
- عوض الله – المرجع السابق ، ص156.
- إبراهيم الشريف – مكة ، ص247.
- ومن بين هؤلاء الأخنس بن شريف الثقفي و بديل بن ورقاء الخزاعي و غيرهما .
(2)- عوض الله – المرجع السابق ، ص156.
(3)- نفس المرجع ، ص156.
- إبراهيم الشريف – المرجع السابق ، ص248.
-Philby (H.ST.I.B),the Background of Islam, Alekandina1947 , P118 .

و أمّا طبقة الأرقاء أو الرقيق فعددها كبير نظـراً لأعـمال أهل مكة التجارية الواسعة وانشغالهم بها واحتياجهم إلى من يقوم على خدمتهم و الاشتغال لصالحهم ، سواء في التجارة أو في الـرعي أرضي الـزراعة حيث كانت لـهم بساتين و مـزروعات فـي الطائف ، أو في الصناعة لذلك جلبوا الرقيق للقيام علـى خدمتهم و لإرضاء نـوازع شهواتهم [1]. وكان الرقيق من البيض و السود ، ومعظمهم يُشترى من الأسواق ، و بعضـهم يجلب مـن أسرى الـحرب ، و العـدد الأكبر منهم يعرفون بالأحابيش [2] يستقدمون من الحبشة أو السودان ، وكان البعض من أسرى الروم و الفرس .

و كانت هـذه الطبقة محرومة مـن الامتيازات و مثقلة بالواجبات نحو سادتها . و قد تركت هذه الفئة في نفوس أهل مكة أثراً يتجلى في المصطلحات الفارسية و الرومية و الحبشية التي كانت معروفة عند العرب قبل ظهور الإسلام و لا سميا ما يتعلّق منها بالصناعات و الأعمال [3].

ومـمّا يلاحظ أن بيـن سادة قـريش و الآخرين مفارقات و تمييزات حتّى في أبنائهم ، فالمولود مـن أمَةٍ أقـل مرتبة و شأناً من المولود من امرأة حرة التي يكون ولدها عكس ذلك حسب اعتقاداتهم و أعرافهم [4].

---

(1)- إبراهيم الشريف – مكة والمدينة ، ص248.

(2)- LAMMENS(_L'ARABIA OCCIDENTALEAVANT L'HEGIRE)op,cit, PP244-257

(3)- عوض الله – مكة ، ص159.

(4)- حسين الحاج حسن – حضارة العرب في عصر الجاهلية – الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع بيروت ، 1984م ، ص123.

وفيما يخص الزواج الذي كان سائدًا في المجتمع المكي فهو عدة أنواع منها : زواج الصداق أو البعولة الذي كان مفضلاً في مجتمع قريش و القبائل العربية الأخرى ، و يتـم بأن يخطب الـرجل مـن الـرجل ابنته ، فيصدقها بصـداق يحـدد مـقداره ثمّ يعقد عليها[1]. و زواج المتعة وهو تزويج المرأة إلى أجل ، فإذا انقضى افترقت عنه، وفيه يقدم الزوج صداقا معيّناً ويكون لأولاده حق الانتسـاب إلـيه وحـق الإرث [2]. وزواج السبي أو الأسر وهو أن يتزوج الرجل المحارب و السّيد من سباياه ويتم ذلك من غير أن يدفع الزوج مهراً [3]. و زواج الاماء و يكون بشراء أمَة تكون هي و أولادها منه ملك يمـينـه إلاّ إذا أعتـقهـم [4] ، وزواج المـقت وهـو أن يتزوّج الرجل زوجة أبيه كـجزء مـن ميراثه إذا لم يكن لها أولاد . وقـد سمي بذلك لأنّه كان ممقوتاً ، والولد الذي يكون ثمرته يسمى مقيت [5]. وهناك أنواع أخرى من الزواج حرّمها المجتمع آنذاك مثل زواج الأب بابنته وبالأمهات ، والأخوات ، و العمات و الخالات وبنات الأخت وزوجات الأبناء.

---

(1)- عوض الله – المرجع السابق ، ص161.
- الحاج حسن – المرجع السابق ، ص128 ، 129.
(2)- جواد علي- المرجع السابق ، ص254.
- عوض الله المرجع السابق ، ص161 ، 162.
(3)- نفس السابق ، ص162.
- الحاج حسن – المرجع السابق ، ص128 ، 129.
(4)- برو – المرجع السابق ، ص264.
(5)- برو – المرجع السابق ، ص265.
- عوض الله – المرجع السابق ، ص162.
أنظر:
- Osman (A),Rock Inscriptions in the HIJAZ London 1969,P11.

أما الطلاق : فقد كان من حق الرّجل ، يستعمله متى شاء لأي سبب أو حتى بدون سبب ويجب أن يتم ثلاثاً لإقرار الفرقة التامة بين الزوجين . على أن بعض النساء كنّ يشترطن عند الزواج أن يكون لهن الحق في الطلاق إذا أردن. كما يلزم الزوجة قضاء العدة إذا طُلقت أو مات عنها زوجها [1].

ويمكن القول أن المرأة باعتبارها زوجة كانت لها مكانتها في المجتمع حيث شاركت الرجل حياته سلماً وحرباً ولذلك فهي موضع تقديره ورعايته وإعزازه ، وهكذا الزوج أيضا بالنسبة لزوجته فكانت ترعاه و تخاف عليه من القتل [2]. وفي السلم تساعد زوجها في الزراعة في المناطق الزراعية أو في الطهي وإعداد الطعام لزوجها وحلب الأغنام ، أو تقوم بغزل الصوف ونسجه ، إضافة إلى أن بعضهن يحترفن التجارة أو الرضاع أو الغناء أو النسيج أو تقويم الرماح أو دبغ الجلود .

وفي الحرب كانت تصحب زوجها في الغزو لتشجيعه على القتال أو تداوي الجرحى أو تسقي المقاتلين [3].

---

(1)- برو – المرجع السابق ، ص266.
- جواد علي – المرجع السابق ، ج3 ، ص273.
(2)- عوض الله ، المرجع السابق ، ص167.
(3)- نفسه ، ص168.
وكذا: انظر:
-Jaussen (A.J),Mission Archéologique en- Arabie,T II,N,Y1971,p133,163.

3- التنظيم الديني :

كان الدين عند العرب في الجاهلية تتحكم فيه عوامل مختلفة ، وكانت ديانتهم وثنية وأهم معبوداتهم الحجارة و الأشجار . وهذه الأخيرة لم تعبد لذواتها بل عبدت على أساس أنّـها بيوت الآلهة .

وقد اختلطت بهذه المعبودات صفات غيبية ربطتها بالأجرام السماوية [1] على أن العبادة الشائعة في مكة هي عبادة الأصنام وهي تماثيل أو صخور عرفت بتسميات شتى تختلف باختلاف المادة المصنوعة بها كالخشب أو الذهب أو الفضة فهي أصنام، ومنها ما كان مصنوعاً من الحجر فهي أوثان ، ونوع آخر يسمى الأنصاب وهو نوع من حجارة غير منصوبة كانوا يطوفون بها ويَعْتَرون عندها أي يقدمون لها العتيرة أي الذبيحة و يسمّون الطواف بها الدوار ، وقد تكون هذه الأصنام على هيئة حيوان أو طير أو على أشكال أخرى [2]. وقد خصصت كل قبيلة إلها تعبده ، وقد تشترك عدة قبائل في واحد ، كما أن البعض منهم اقتبس جزءًا من عباداتهم من الأمم المجاورة .

---

(1)- نبيه عاقل – تاريخ العرب القديم و عصر الرسول ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر 1975 ، ص268.

(2)- برو ، المرجع السابق ص291.

- مصطفى أبو ضيف أحمد – دراسات في تاريخ العرب ، مؤسسة شباب الجامعة

- الإسكندرية ، 1982 ، ص73.

ويرى ابن الكلبي أن أوّل من غيّر دين إسماعيل فنصّب الأوثان و سيّب السائبة ، و وصل الوصيلة و بحّر البحيرة وحمى الحامية [1] ، هو عمرو بن لحي الخزاعي الذي كان يلي أمور مكة و الكعبة بعد جرهم ، إذ مرض مرضاً شديداً فقيل له إن بالبلقاء من الشام حَمَّة إن أتيتها برئت ، فأتاها فاستحم بها فبرأ و وجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا:

نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا فقدم بها إلى مكة ونصبها حول الكعبة [2]. وقد ضمت الكعبة حوالي 360 صنماً بعضها منحوتا من الحجارة وبعضها معمولا من النحاس وبعضها قوارير ، ووضعت معها بعض الصور للأنبياء و الملائكة ومريم وصورة الحمامة وكانت في غاية الإتقان [3]. وقد يكون تنصيب الأصنام داخل الكعبة وحولها من طرف قريش لجذب القبائل العربية لزيارة الكعبة من جهة و لارتياد الأسواق التي كانت تقام في موسم الحج فتستفيد من ذلك فوائد اقتصادية ومعنوية .

---

(1)- ورد ذكر هذه الأسماء في القرآن الكريم سورة المائدة الآية 103 في قوله تعالى :"ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون" صدق الله العظيم .
- وتفسير هذه الأسماء أن الجاهلين كانوا إذا فتحت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر ، بحرّوا أذنها أي شقُّوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحمّل وتُحرّم فهي بحيرة ، وإذا مرض رجل يقول إن شفيت فناقة سائبة وتحرم كالبحيرة ، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإذا ولدتهما معاً قالوا : وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح الذكر وتسمى هي وصيلة . وإذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن حرّموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى ، وقالوا : قد حمى ظهره فهو حام .

(2)- ابن الكلبي – المرجع السابق ، ص8.
(3)- جواد علي – المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ص204 ،205 .
وكذا:
- O'Leary(D.L), Arabia Before Mohamed, London,1927,p71.

على أن أشهر الأصنام التي عبدها القريشيون في مكة هبل و اللات و العزى ومناة ، هذه الثلاثة الأخيرة ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى :" أفرآيتم اللات و العزى ومناة الثالثة الاخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان " صدق الله العظيم[1] .

وأهمها هبل و هو كبير الآلهة الوثنية في مكة وكان موضعه داخل الكعبة وهو مصنوع من عقيق أحمر على صورة إنسان ويقال أن أول من نصّبه خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وكان يقال له هبل خزيمة وكان مكسور الذراع الأيمن فأبدله القرشيون ذراعاً من ذهب وكانوا يطوفون حوله ويستقسمون عنده بالازلام ويقدمون له الهدايا [2] . وبجانب هذا الصنم سبعة قِداح مكتوبة يضربونها إذا ما اختلف القوم في أمور تخص حياتهم الاجتماعية أو الاقتصادية وهي قدح العقل أو الدية ، وقدح نعم، ولا ، ومنكم، وملصق ، من غيركم ، والمياه [3].

أما اللات فهي صخر مربعة أقيم عليها بناء في الطائف وقد اعتبرتها ثقيف من أعظم المعبودات ، وقدستها قريش وجميع العرب ، وكانت تعرف عندهم اسم الربّة أي

---

(1)- القرآن الكري سورة النجم ، الآية 18 ،19.
(2)- ابن الكلبي ، المرجع السابق ، ص27 ، 28.
برو – المرجع السابق ، ص293.
نبيه عاقل – المرجع السابق ، ص274.
(3)- نفس المرجع ، ص274 ، 275.

السيّدة ، ويسمّون ويسمون أولادهم بأسماء منسوبة إليها مسبوقة بكلمة وهب , تيم زيد مثل وهب اللآت ،تيم اللآت ،زيد اللآت [1] وحسب الأزرقي أن أصل عبادتها يعود إلى أن رجلا فيما مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن إلى الحجاج إذا مروا فيلت سويقهم وكان ذا غنم ، فسميت صخرة اللآت.فمات فلما فقده الناس قال لهم عمرو بن لحي إن ربكم كان اللآت فدخل في جوف الصخرة [2]. بينما يذكر ابن الكلبي أن الشخص الذي كان يلت عندها السويق كان يهودياً [3] ، و فيما يخص العزى فهي من الآلهة التي عبدها العرب عامة وقريش خاصة فهي أعظم الأصنام بعد هبل ومنافسة له ، يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح ، وكانت بواد من النخلة الشامية يقال له حراض بين مكة و العراق أما أول من اتخذها فهو ظالم بن أسعد الذي بنى عليها بيت وحملت لها قريش شعبا من الوادي [4]. كما يذكر الأزرقي أن الذي أدخل عبادة العزى إلى العرب هو عمرو ابن لحي أيضا و أن العرب إذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما [5].

---

(1)- برو – المرجع السابق ، 294.
(2)- الأزرقي – المرجع السابق ج1 ، ص79.
(3)- ابن الكلبي ، المرجع السابق ، ص16.
(4)- برو – المرجع السابق ، ص295.
(5)- الأزرقي ، المرجع السابق ج1 ، ص ص79 ، 80.

أمّا مناة الثالثة الأخرى كما جاء ذكرها فـي القرآن الكريم ، كانت معروفة في مكة ، وشاعـت عبـادتها بين قبائل هذيـل وخـزاعة ، ومكانها عند ساحل البحر بين مكة و المدينة وتقدسها الأوس و الخـزرج ، فـإذا حـجـوا إلـى مكـة عادوا إلى مناة ليحلقوا شعرهم عندها ، وربّما اعتبرت مناة إلهة القضاء والقدر أو مـا يقابل الحظ المخلص عند الاغريق [1].

وإلى جانب هذه الأصنام الكبيرة ذات المكـانـة كانت أصنام أخـرى منها منـاف وبـه كانت تسمّـى قـريش (عبد مناف) [2]. وأساف ونائلة وهما رجلاً وامرأة مـن جـرهـم تحابا ثمّ قصدا مكة للحج فدخلا الكعبة ووجدا خلوة في البيت فمسخا حجرين.

فأخرجا ووضعا موضعهما ليعـتـبـر النـاس بهمـا فعُبِدَا بمرور الزمن مـن خـزاعـة وقريش، ومن حجّ البيت من العرب [3].

كما عرف الـمجـتمع المـكي طـقـوسًا عبادية أهمّها الحج والذي يتم في أشهر معلومة تُبيّن بالأهلة وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرّم، وقد جعلت حُرُمًا لا يجوز فيها القتال حتى يأتي الناس للحج آمنين مطمئنين [4].

---

(1)- برو ، ص295.
- نبيه عاقل – المرجع السابق، ص297.
(2)- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص297.
(3)- ابن الكلبي – المرجع السابق، ص9.
(4)- برو ، ص298.

وقـد جـعـلـت هذه الأشهر ثلاثاً مع أن موسم الحج لا يستغرق أكثر من شهر و أيام ، لأن الحـاج يضطر إلـى قطع المسافـات الشاسعة و بالتالي يحتاج إلى مدة كافية يذهب فيهـا ويـعـود، و يـتـعـاطـى فـيهـا النـاس البيع و الشـراء في الأسواق في ظـل الأشهر الحرم[1].

ويعتبر الطواف بالكعبة أهم مراسم تحيتها وتكريمها، وهو سبعـة أشـواط علـى مـدار الكعبة ويبدأ من الركن الذي فيه الحجر الأسود و هو حـجـر صـواني لامع أسود[2].

ويذكر الاخباريون أن الطائفين بالبيت كانوا صنفين ، صنف يطوفون عراة ويعرفون باسم الحُلّة وهم من غير قريش ، وصنف يطوفون بثيابهم ويعرفون باسم الحُمس وهم مـن قـريش [3] والأحمسى المشدّد في دينه في بعض كلام العـرب [4]. ويُـلـزم الـحُـلـّة بطـرح ثـيـابهم بعـد الطـواف ولا يجوز لهم استعمالها بعـدئـذ، وتبقى في مكانها حتى تبلى من الوطء و الشمس وتسمّى عندئذ (لُقَى) وحسب روايـة البعـض أن مـن يطوف من الحلة بثيابه يُضرب وتنتزع منه ثيابـه ويلـزم أن يـأخـذ مـن الحمس ثياباً للإحرام تسمى ثياب الاحمسية إمّا شـراء أو إعـارة أو هبة، وإلاّ فـإن عليـه أن يطوف عارياً، وتخضع النساء لهذه القاعدة أيضا[5].

---

(1)- برو ، المرجع السابق ص299.
(2)- إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص196.
(3)- برو ، المرجع السابق ، ص299.
(4)- الأزرقي – المرجع السابق ، ج1 ، ص175.
(5)- برو المرجع السابق، ص300.

ولـذلك بعـض الـنسـاء يطـفـن ليلا تفـاديـا لذلك. وقـد أعـطـى تـفسيرا لـهذا العمل وهـو الحرص أن يكون الطائف نقياً متحررًا مـن آثامه، فلا يطـوف فـي ثياب قـارف فيهـا الذنوب فـيـلـزم بتـدارك ثيـاب مـن الحمس باعتبـارهم أتـقيـاء وزهاداً، فالثيـاب التـي يبيعونها أو يؤجّرونها نظيفة وطاهرة وبعيدة عن الإثم، فهي الثياب الوحيدة الصالحة للطواف[1]. ومن لا يملك مالاً أي فقيـرًا فيطـوف عاريًـا. وربمّـا ينعـكـس هـذا الأمـر على تجارة المكيين في كسب الأموال.

أمّا الحُمْس فهم من قريش وحلفائها، ويروي الازرقي أنّـهم إذا أحرموا فلا ينبغي لهم أن يأقطوا الأقط ولا يسألوا السمن ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا إلاّ في بيوت الأدم [2]، ويطوفون بالبيت بثيابهم.

وهناك فئة ثالثة وهي الطُلْس وهم وسط بين الحمس و الحلـّة وهم سائر أهـل اليمن و أهل حضرموت وعك وعجيب وإياد بن نزار [3]. وكانوا يصنعون في إحـرامهم مـا يصنع الحلة ويصنعون في ثيابهم ودخول البيت ما يصنع الحمس ولا يطوفون عـراة ولا يستعيرون ثياب الحمس ولا يحرمـون دخـول البيـوت مـن أبـوابهـا، ولا يئدون بناتهم[4].

---

(1)- برو ، المرجع السابق ، ص300.
الأزرقي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص175.
(3)- الأزرقي – نفس السابق ، ص175.
- يأقطوا الأقط أي يصنعون طعامًا من اللبن المخيض . ولا يسألوا اليمن أي لا يأكلون الزبد ولا يدخلوا بيتا من الوبر ولا يستظلون بخيام مصنوعة به بل من الأدم أي الجلد.
(3)- نبيه عاقل – المرجع السابق ، ص293.
(4)- نفسه ص295.
وكذلك:

-Musil (A),the Nor them Nejdm Ny, 1928,p118

وهنـاك طقـوس أخـرى كالوقوف بعـرفة في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة وكانوا يـتـخـذون مـن هـذا اليـوم وسيلـة لإعـلان بعـض الأمـور وإبـلاغهـا للنـاس [1] كـمـا أنهم يقومون بتقـديم الهدي أي ذبح الحيوانـات قـربـان شكـر بعـد الفـراغ مـن الحج، وتلطيخ جدران الكعبة بدمها. كما أنهم يقومون بالحلق و التقصير كعلامة للتحلل من الإحرام.

وهكذا يتضّح أنّه كان للحج آثار اقتصادية واجتماعية هامة على مكة، بحيث تقام فـي موسمه أسواق عـامـة أهـمها عكـاظ ومجنة وذو المجـاز. وهذه الأخيرة كانت مجـالا لنشاط أهـل مكة التجاري، كما أن الوافدين من مختلف الجهات، من أطراف الشام و العراق واليمن و تهامة و البحرين يلتقون فيها و يتبـادلون السلع و يـتـزوّدون بمـا هـم في حاجة إليه من العروض [2]. بالإضافة إلى ذلك فقد وفد نصـارى الـعـرب و يـهـود يثرب للـتـبشـير و الاتـجـار [3]. و قـد استفـادت قـريشاً كـثـيـرا مـن هـذا الاحتـكـاك و الاتصـال في تطوير نظمها في مختلف المجالات.

---

(1)- إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص199.
(2)- نفسه ، ص203.
(3)- نفسه ، ص204.
وكذا:
- Musil (A)(the Nor them HEGAS),op.cit,P118.

الفصل الثاني

- الفصل الثاني :

- تجارة مكة ودورها في شبه الجزيرة العربية

1- تعريف التجارة

2- تجارة القوافل في شبه الجزيرة العربية

3- الطرق التجارية

4- الأسواق التجارية

5- العملات المتداولة

6- العلاقة التجارية الخارجية لمكة

7- العلاقة بشمال شبه الجزيرة العربية

8- العلاقة بجنوب شبه الجزيرة العربية

1- تعريف التجارة :

التجارة هي البيع و الشراء لغرض الربح ، وهي أيضا ما يتّجر به ، وأمّا المتجرة وجمعها متاجر فهي موضع الاتّجار ، فيقال أرض مُتْجرة أي يُتَّجَر فيها وإليها[1].

وتعتبر التجارة من أهم جوانب النشاط الاقتصادي والاجتماعي ، ولها جانب هام في الفعالية الحضارية للشعوب[2]. ولعلّها بدأت منذ العصور الحجرية القديمة كعملية تبادل مواد خام ربّما لبعض الحيوانات أو مواد موجودة آنذاك كالصوان[3].

ولعل شبه الجزيرة العربية [4] كانت أحد المراكز الهامة للنشاط الاقتصادي التجاري ويعود ذلك إلى الموقع الاستراتيجي الذي تحتله ، حيث مكّنها من الإطلالة على أهم مسطحات مائية في العالم، المحيط الهندي، والبحرين الأحمر وبحر عمان و الخليج العربي. كما أنّها تشكّل القلب النابض للشرق الأدنى القديم وهمزة وصل بين إقليمين جغرافيين مختلفين هما، إقليم البحر الأبيض المتوسط ومميزاته الطبيعية، وإقليم

---

(1)- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام – الطبعة 26 ، دار المشرق بيروت ، بدون تاريخ، ص59.

(2)- محمد الطاهر عدواني الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ). م و ك ،وزارة الثقافة والسياحة الجزائر 1984 ص238.

(3)- نفسه ص238.

(4)- تقع شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي من قارة آسيا بين درجتي عرض °12 و °30 شمالاً أي أنّ قسمها الجنوبي يقع في المنطقة المدارية الصحراوية، فهي حارة الإقليم قاسية المناخ عدا المناطق الجبلية العالية، ويبلغ متوسط عرض شبه الجزيرة 700ميل أي حوالي 1150كلم وأقصى طولها 210ميل أي نحو 2000كلم. أنظر بروّ – تاريخ العرب القديم، ص19و 20.

وكذلك:

MUSIL(A), in the Arabia Desert, N.y1930,p33

المناطق الحارة الاستوائية ومنتجاتها، وخاصة شرقي إفريقيا وشبه القارة الهندية، ولذلك عبرت التجارة العالمية البلاد العربية منذ أقدم العصور[1].

2-تجارة القوافل في شبه الجزيرة العربية :

اشتهرت شبه الجزيرة العربية بتجارة هامة هي تجارة القوافل التي اعتمدت في تنقلاتها ليس على الإبل فحسب بل حتى البغال و الحمير أيضا، وذلك قبل تدجين الإبل [2] و القافلة هي العير التي تحمل الميرة، وهي جماعة من جماعات السفر [3] وما من شك في أن هناك عواملا ساعدت على تطور تجارة القوافل العربية في شبه الجزيرة العربية منها، تدجين الجمل [4] وحسن استخدامه والتعرّف على مزاياه وملاءمته العالية لخصائص الأرض و البيئة العربية، فأصبح يسمى سفينة الصحراء وكذلك الأحوال السياسية، فالتجارة تزدهر في أوقات السلم وتطور العلاقات الودية إلى جانب الاستقرار السياسي وبذلك ساهمت هذه التجارة أي تجارة القوافل في

---

(1)- رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم من كتاب القوافل ودرها الحضاري حتى نهاية القرن 19م – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت إشراف أحمد إبراهيم ذياب معهد البحوث والدراسات العربية بغداد 1984، ص13.

(2)- لمزيد من التفاصيل حول تجارة القوافل أنظر رضا جواد الهاشمي – المرجع السابق ص ص7، 12.

(3)- علي جواد – المرجع السابق، ج7، ص314.

(4)- على ضوء المعلومات الأثرية والبيانات الأدبية كان مطلع الألف الثانية ق.م بداية تدجين الإبل ومن حيث بداية سيادة الإبل في التنقلات في الأرض العربية فقد رجّحَ الباحثون مطلع الألف الأولى قبل الميلاد.

أنظر في ذلك جواد الهاشمي – المرجع السابق، ص10.

وكذلك:

Niebhur ©, La description de l'Arabia, paris,1779,p230.

ازدهار في الحياة الاقتصادية وفي اتساع الممالك و عظم العمران، وزادت في أواصر الصلة والعلاقة بين مناطق شبه الجزيرة العربية وقبائلها، ثمّ بينها وبين أقطار الشرق الأدنى القديم، وخاصة الجانب التجاري منه، ومن تلك الممالك نجد المعينيين[1] والسبئيين[2] والقتبانيين[3] ومملكة الأنباط[4] في البتراء وتدمر[5].

وشهدت شبه الجزيرة العربية صراعات عسكرية بين القوى المهيمنة في ذلك الوقت منها قوة الفرس وقوة الروم البيزنطيين، ولهذا أصبحت الطرق غير آمنة إلاّ في الصحراء المنعزلة، أين كانت الإبل وسيلة التجارة بيد العرب.

---

(1)- قامت دولة معين في منطقة الجوف، عاصمتها قرنا (خربة معين اليوم) من مدنها المشهورة يثيل (براقش اليوم) ودامت دولة معين من حوالي القرن8 ق.م إلى القرن 115 ق.م.

(2)- تمركزت دولة سبأ أولا حول سبأ، ثمّ اتسع سلطانها بحيث شمل الجنوب (الجزيرة) كله تقريباً، في الأول كانت عاصمتها سرواح، وصار لمأرب الأمر و النهي منذ 610 ق.م واستمرت هذه الدولة من القرن 8 ق.م إلى القرن 115 ق.م .

(3)- تقع دولة قتبان إلى الشرق من منطقة عدن والغرب من حضرموت، عاصمتها تمنع (حجر كحلان اليوم)، قامت معاصرة للدولتين السابقتين، إلاّ أنّها أصبحت مملكة حوالي 400 ق.م. بلغت ذروة المجد في القرن 1 ق.م سكّت نقدًا ذهبياً حوالي سنة 50 ق.م انتهى أمر هذه الدولة أيّام المسيح. أنظر في ذلك مجلة تاريخ العرب والعالم السنة الأولى، العدد 5 مارس 1979.

(4)- دولة الأنباط أقدم الدول الشمالية عاصمتها البتراء التي تعني الصخرة أو الحجر باليونانية Petra، اشتهر الأنباط بصدهم حملات اليونان حوالي سنة 312. كما احترفوا التجارة وقيادة القوافل التجارية. أنظر في ذلك محمد مبروك نافع، عصر ما قبل الإسلام، ط2- مطبعة السعادة مصر 1952 صص86، 87. ومصطفى أبو ضيف أحمد – دراسات في تاريخ العرب منذ ما قبل الإسلام إلى ظهور الأمويين – مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية 1982 – ص44.

(5)- جواد الهاشمي – المرجع السابق، ص11.

- Littnan (E),Nabateau inscription from the Sou them houran,1914,p119.

- Littnan (E), THAMUD and SAFA,lepzig,1940,P22.

ويعود ذلك إلى امتلاكهم ناصية الإبل وخبرتهم العالية في مسالك الأرض العربية وخير الناس في نقل التجارة. بالإضافة إلى أن الإبل كانت في مقدار تحمّلها وحمولتها أفضل الوسائط[1]. وقد اشتهرت تجارة القوافل بنقل المنتجات الهندية خاصة التوابل والدارصين غير أن تجارة القوافل العربية نقلت التمور والعنبر والأدم (المستكة) والقرفة والأحجار الكريمة والذهب ومواد أخرى كثيرة[2].

وهكذا نشّط العرب في تجارة القوافل وتعمقت في ذلك مجموعة من النظم والتقاليد التي كان هدفها تطوير مستلزمات العمل التجاري وسلامة حركته لضمان أفضل النتائج المرجوة من هذه النشاطات وهذا ما كانت تقوم به قريشا. ونظرًا للمكانة العالية التي احتلتها تجارة القوافل في حياة العرب فقد أحيطت رحلاتها وطرقها وعقدها بالعناية الكبيرة، وازدهرت بموجبها أيضا مجموعة من مدن القوافل والتي أصبح بعضها سوقًا رئيسة للتجارة[3].

على أن مكة كانت إحدى محطات القوافل لكن مع مرور الوقت تحولت إلى مركز تجاري متميّز لما يتوفر عندها من مستلزمات الرحلة من تموين وأمن[4].

---

(1)- جواد الهاشمي – المرجع السابق ، ص15.
(2)- نفسه ص18.
(3)- نفسه ص18.
(4)- ضيف الله بن يحي الزهراني ، عادل محمد نور غباشي – تاريخ مكة المكرمة التجاري، ط1 الغرفة التجارية والصناعية بمكة المكرمة 1998م، ص8.
- Musil (A), (Arabia Desert) ,op.cit,p32

بالإضافة إلى ما تتمتع به قدسية واحترام لازدهار الحياة الدينية فيها بسبب وجود الكعبة التي كان لها تأثير كبير على تجارة مكة بسبب ارتباط الناس بأداء الحج كما سبق ذكره في الفصل السابق.

كما أنّها قريبة من الموانيء حيث يشير الأزرقي في معرض حديثه عن بناء قريش للكعبة أن الشُعيبة كانت ساحل مكة قبل جدة[1]. ويمكننا إضافة قلة الإنتاج الزراعي وبالنظر إلى التضاريس والمناخ الصحراوي وقلة الأمطار إلى درجة الجفاف في بعض الأحيان، أدى بسكان مكة إلى البحث عن مصادر أخرى للرزق والتي كان أشهرها التجارة[2]. وقد استفادت مكة كثيرًا من التدهور السياسي الذي حلّ باليمن في بداية القرن السادس الميلادي نتيجة للصراع الداخلي بسبب الخلاف الديني بعد انتشار اليهودية والمسيحية فيها والتنافس بين الديانتين. إضافة إلى وقوعها في منطقة التصارع الدولي بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية، هذه الأخيرة استخدمت الحبشة حليفتها لإقرار النفوذ الرومي على جنوب بلاد العرب عن طريق غزو اليمن، وتكررت غزوات الحبشة على اليمن حتى سقطت في يدها في النصف الأول من القرن السادس[3].

---

(1)- الأزرقي – المرجع السابق ، ج1 ، ص157.
(2)- الزهراني ، غباشي –المرجع السابق، ص9.
(3)- عوض الله – المرجع السابق، ص137.
- جواد علي – المرجع السابق، ج4، ص191.
- Hnart (C), Histoire des Arabes, Vol I,Paris1912,p250.

واستمر حكم الحبشة لليمن حتى أخرجهم منها الفرس حوالي سنة 575م.

وهذا مـا أدى إلى فقدان اليمن مـركزها التجاري، في حين نجد مكة قد حظيت بنوع من الاستقرار والتنظيم علـى يـد قبيلة قريش كما سبق الحديث عنه ممّا مكّنها احتلال المكانة التجارية التي كانت لليمن.

كما أنّ قيام الإضطرابات بين الفـرس والـروم في القرن الخامس الميلادي قد أدّيا إلى اضطراب التجارة العالمية المـارة فـي العـراق وازديـاد الأهمية التجارية لمكة نتيجة لأن قوافل التجارة بين اليمن وسوريا أضحت تمر بمكة[1].

---

(1)- نبيه عاقل – المرجع السابق، ص229.

3- الطرق التجارية :

قبل التطرق إلى أهم الطرق التجارية ينبغي الإشارة إلى جملة من الشروط التي كان لها الأثر في تحديد مسار خطوط التجارة و التحكم بها إلى حد بعيد وهي:

1- مسار الوديان الرئيسية و الثانوية مما يساعد الناس وحيواناتهم على التنقل فيما تـفوره من مصادر المياه و بعض العشب والكلأ, واللذان يعدان من الشروط الضرورية لقطع قفار الأرض العربية [1].

2- مواطن الآبار وهي تشكل منازل على طرق القوافل تستريح عندها القافلة وتتزود بالماء و المؤونة لمواصلة رحلتها ,وقد تحول بعضها بسبب وفرة مياهها وزراعتها وموقعها إلى مركز تجاري هام.

3- المسافة بين موطن ماء و آخر.

4 - الإبتعاد عن المناطق الجبلية والصخرية لأنها لا تتفق مع قدرات الإبل الطبيعية على الحركة والانتقال.

5- دور العرب خاصة أصحاب الإبل منهم، فالعربي أدرى الناس بالصحراء ولهم ضرب كبير بها ، لذلك بقيت التجارة حكراً عليهم بالنسبة للشعوب الأخرى[2].

---

(1)- جواد الهاشمي ، المرجع السابق ، ص19.
(2)- نفسه ص20.
وكذا:
Hubert (c) ,voyage dans l'Arabie contrôle, paris188,p111.

تتمثل أهم طرق القوافل التجارية البرية في شرق شبه الجزيرة العربية وغربها فيما يلي:

كان بالجزيرة العربية طريقتان أساسيان على حافة الصحراء لنقل السلع من المحيط الهندي إلى موانئ فلسطين وسوريا, أحدهما شرقي من الخليج العربي مارا بوادي الرافدين منحرفا إلى سوريا نحو دمشق. والثاني من اليمن إلى جنوب فلسطين[1].

فالأول ساحلي من البصرة إلى عمان، كما سلك الجاهليون أو العرب من شبه الجزيرة طرقا أخرى ربطت بين اليمامة وجنوب العراق عند البصرة، و كذلك بالكوفة، ومن هذه الأخيرة توجد طريق نحو مكة، وقد عرف هذا الطريق بالمثقب، وقيل أنّه طريق من اليمامة والكوفة، وذكر البعض على أنّه كان طريقا بين الشام و الكوفة، وفيما يخص تسميته فإنّ رجلا مرّ به يدعى مثقب، أو أن أحد ملوك حمير بعث رجلا يقال له مثقب على رأس جيش كبير إلى الصين، فأخذ ذلك الطريق فسمّي به [2].

---

(1)- سبتينو موسكاتي- الحضارات السامية القديمة – ترجمة يعقوب البكر – دار الرقي، بيروت 1986 ص201.

(2)- جواد علي – المرجع السابق ، ج7، ص341.

وكذا: Huart (c) ,op cit,p 83.

و من الحيرة أيضاً نحو الشام، ومنها نحو مكة كذلك، فقد كان بين هاتين الأخيرتين اتّصال تجاري وثقافي وثيق، فعلى ما يرويه أهل الأخبار، فقد حمل الخط العربي من الحيرة إلى مكة، وكذلك كان التجار المكيون يرحلون من الحيرة إلى القادسية، وهناك طريق من اليمامة إلى مكة، ومن اليمامة إلى نجران ثمّ صنعاء[1].

أمّا الطريق الثاني،فهو طريق البخور أو العطور، ويرجع ازدهاره إلى عهد المعينيين و السبئيين خلال الألف الأولى قبل الميلاد، لكنّه فقد أهميته التجارية بعد فقدان الأخيرتين سيطرتهما على البحر و سواحل إفريقيا الشرقية غير أنّه استعاد مكانته التجارية العالمية خلال القرن السادس الميلادي بين الهند واليمن وفلسطين و مصر و مختلف بلاد الامبراطوية البيزنطية و اليونان و توازيها طريق أخرى عبر البحر الأحمر من إفريقيا الشرقية - الصومال و إرتريا - مارة باليمامة إلى العراق [2].

و ينطلق هذا الطريق من جنوب شبه الجزيرة العربية من منطقة الجوف أرض معين القديمة حيث تحمل فيه السلع الآتية من سواحل حضر موت و

---

(1)- جواد على المرجع السابق ،ج7 ،ص ص346 ،355 .

(2)- حسين مروة – النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية – الطبعة الثانية ، دار الفارابي بيروت 1979 ، ج1، ص ص192، 193.

وكذا: HALEVY (J), Rapport sur une MISSION Archaeologique dans le yemen, Paris 1872,p7.

قتبان و سبأ، و كذلك السلع الآتية من الحبشة والهند بحراً [1] حيث تتحرك القوافل منها إلى نجران، و من هذه الأخيرة، يتفرع نحو الشرق إلى اليمامة وهجر، ومن هذه الأخيرة على سواحل الخليج العربي تتوجه شمالا إلى وادي الرافدين ثمّ بلاد الشام.

ويتواصل الفرع الآخر نحو مكة ثمّ يثرب (المدينة)، وبعدها يمر بواحة العلا (ديدان)، ثمّ مدائن صالح (الحجر)، ثمّ يتفرع الطريق نحو الشمال الشرقي نحو تيماء ومنها إلى دومة الجندل، و في الأخير نحو الأسواق العراقية، بينما يستمر الطريق نحو الشمال إلى البتراء، ومنها يتفرع إلى ثلاثة خطوط، عبر سيناء إلى مصر، ثمّ إلى غزة، ومنها بحراً نحو العالم الغربي، أمّا الخط الثالث فيسير شمالاً ماراً ببصرى حتى يبلغ سوق دمشق في الأخير [2].

وبذلك تكون بلاد الحجاز قد تميزت بموقع يتوسط الطرق التجارية الآتية: من المحيط الهندي ومن البحر الأحمر عبر شبه الجزيرة العربية، والطرق الآتية: من بلاد فارس وبيزنطا، وهذا ممّا أثر في قيام مدن تجارية على البحر الأبيض المتوسط

---

(1)- جواد الهاشمي،المرجع السابق ، ص21.

(2)ـ أنظر جواد الهاشمي ،المرجع السابق،ص21 وكذلك موسكاتي، المرجع السابق ،ص40 وص354 هامش12.

وكذلك:

-Dussaud (H), Les arabes en syrie Avant L'Islam,Paris 1907,p114.

وثـغـور تـجـاريــة مثـل ثغـر الشعبية وهـو مـرفـأ مكـة القديم، وثغر ينبع مرفأ يثرب (المدينة)، قامت بدور كبير في تنمية تجارة القوافل منها على الخصوص مدينة مكة، حيث كان منها طريق نحو اليمن، فمنه ما يمر بالساحـل ومنـه مـا يمرّ شرقاً عنه من مكة إلى صعدة التي يدبغ فيها الأدم، وهي مشتهرة بالنعل أيضا، إلــى أن يصل إلــى صنعاء وإلى عدن، وهناك طريق ساحلي ربط عمان بمكة سلكـهُ العـرب الجـاهليـون والروم البيزنطيون[1].

ولعلنا نتساءل عن مدى الأهمية التي تتركها الطرق التجارية بصفة عامة سواء البرية أو البحرية؟

فـمـا مـن شك فـي أنّـها مـن أسبـاب الاتصال و التنقل والاتّـجار و الـربط بين مـراكز الحضارات القديمة وخارجها، وأصبحت التجارة بذلك من دعائم الاتصال الحضاري بين الأمم و الشعوب وسببًا في تفاعلاتها، ويتم ذلك من خلال السلع و المنتوجات التي تمثل جوانب الحضارة المادية المتنقلة أو من خلال الناس الذين ينقلون معهم أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم[2].

---

(1)- جواد علي – المرجع السابق ج7، ص ص362. 364.

(2)- كان نفس الدور بالنسبة للمغرب وإفريقيا ككل، الذي قامت به التجارة العربية في نشر الحضارة العربية الإسلامية في جنوب الصحراء.

كذلك:

Huart (c) ,op, citp57

وبفضل طرق القوافل بلغت الحضارة اليمنية أوجها وكذلك البتراء و تدمر وغيرها، إضافة إلى عوامل أخرى سياسية واجتماعية، ممّا جعلها هدفاً لأطماع اليونان والرومان والأحباش، مثلما حدث لمكة عندما توجه أحد حكام الأحباش في اليمن بحملته نحوها عام 570 أو 571م للسيطرة عليها، وبالتالي السيطرة على طرق التجارة، لكنّه فشل فيها، وهي المعروفة بحملة أبرهة[1].

كما كانت هناك محاولات بيزنطية وساسانية للتحكم في طرق التجارة على أطراف شبه الجزيرة العربية في الشمال الشرقي والجنوب والغرب[2].

وقد عرفت مكة بحكم موقعها ومركزها وفعاليتها في القرن السادس الميلادي كيف تستفيد من الأوضاع السائدة، ممّا مكّن القريشيين من السيطرة على التجارة المارّة بغربي شبه الجزيرة وأصبحوا يقومون بنقل التجارة بانتظام بين اليمن والشام بعدما كانوا وسطاء للتجار والتجارة فقط، وأصبحت حياتهم مرتبطة بذلك.

---

(1)- بعد حادثة الأخدود في عهد ذي نواس تعرضت اليمن لغزو الأحباش بمساعدة البيزنطيين وذلك عام 525م، وتزايدت أطماع الأحباش بقيادة أبرهة حتى مكة، فتوجه بحملته تلك للسيطرة عليها وعلى الكعبة وبالتالي التحكم في الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية.

(2)- عبد العزيز الدوري – مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ط1، دار الطليعة بيروت، 1969م، ص11.
وكذلك:

Sanger (H.R) the arabien Panisula ,cornel university ,pressm 1954,p44

4- الأسواق التجارية:

كـان للعـرب أسـواق يـقـيـمـونـهـا فـي شهـور السنـة، وكـان لهـا حرمتها، حيث يقوم المشرفون عليها بالمحافظة علـى الأرواح والأموال فيهـا[1]. فـقـد كانت القوافل تقصد الأماكـن التي تـريد البيع و الشراء فيهـا في مواسم معينة، وذلك لاجتماع التجار فيها، وكانوا يقصدون الأسـواق المؤقتـة التـي تقـام أثنـاء الأعيـاد و المناسبـات الدينية حتى يبيعوا ما عندهم من بضاعة ويشتروا ما يأتي به الناس من أموال [2]. فالحج إلى مكة اقتضـى أن يكون فيها أسواق في فترات وأماكن مختلفة يجتمع فيها النـاس لمـدة تصل إلى خمسة أشهر[3].

فقد أرسل المكيون قوافلهم إلى أسواق الحيرة والشام حاملين إليها بضائع هـنـدية مـن مجوهرات وتوابل وأقمشة نادرة، وبضائع صينيـة منهـا الحـريـر، و كـذلك العـطـور وريش النعام والعاج ومسحوق الـذهب مـن شرق إفـريقيـا، بالإضافـة إلـى صـادرات الجنوب العربي من بخور ولبان ومر وجلود ومعادن ثمينة، ويعودون منها بالحبوب و الـزيـوت و الخمـور و المنسـوجات القطنية و الكتـّانية و الحريرية، والبعض منهم

---

(1)- أنظر اليعقوبي – المرجع السابق ج1، ص313.
وكذلك القلقشنديالمرجع السابق، ج1، ص410.
(2)- جواد علي – المرجع السابق ج4، ص369.
(3)- أنظر عمر فروّخ – العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي – دار العلم للملايين، بيروت 1966، ص86، وكذلك برو، تاريخ العرب القديم، ص169.
وكذا:
Pirenne (J),A la découvert de l'Arabie, paris 1918,p17

يهرّب الأسلحة[1]، وبذلك أصبح الروم البيزنطيون يعتمدون علـى التجـارة المكية في الحصول على السلع الترفيهية لا سيما الأقمشة الحريرية المـزركشـة الموشاة[2].

وكانت بصرى سوق قريش فـي رحلتهم إلـى بـلاد الشـام ، والمعروفة

برحلة الصيف، بعد انتهاء تجارتهم يعودون إلى مكة، و منهم من يواصل طريقه إلى غزة و يتاجر في أسـواقهـا أيـن تـوجد فيها منتجات حوض البحر الأبيض المتوسط و منتجـات أوربيـة أخـرى حاملا إليهـا السلـع التـي أتـوبها مـن البلاد العـربية المطلوبة هناك، ومنها ما كـان يجـلـب مـن اليمن و مـن الطـائف كـالأدم أو الـمستكـة و الجـلـود المذهبة و جلود البقر و العطور كذلك [3]. بالإضافة إلى الذهب و القصدير و الحجارة الكـريمـة اليشــب و العـقـيـق و، العـاج و خـشب الصنـدل و الأرجـوان و الميعة و الزعفران، والآنية من الفضة والحديد، و حاصلات شرق إفريقيا و اليمن و التـي سبق ذكرها، ومن حاصلات جزيرة سقطرة العود والند، و من البحرين اللؤلؤ[4].

---

(1) - Louis HALPHEN – LES BARBARE, 4eme EDITION , PRESSES UNIVERSITAIRE DE FRANCE, PARIS, 1940, PP 123, 124

- IBID, P. 124

(2)- كذلك برو – المرجع السابق، ص241.

(3)- جواد علي – المرجع السابق ج7، ص ص292، 293.

(4)- إبراهيم الشريف – دور الحجاز، ص43.

ومن الأسواق هناك سوق دومة الجندل وموقعها بين الشام و الخليج العربي الذي يقام في أول ربيع الأول أين تحضر فيه معظم القبائل العربية حيث يتم البيع والشراء و الأخذ والعطاء وتبقى إلى آخر الشهر. ومنها ينتقل التجار إلى سوق هجر بالبحرين في شهر ربيع الآخر (الثاني) لإقامة السوق[1].

ومن هذه الأخيرة يرتحلون نحو سوق عُمَان بالبحرين أيضا و التي تكون في أول رمضان، ثمّ سوق صنعاء باليمن الذي يقوم في نصف رمضان، وقد اشتهر ببيع الخرز والأدم والبرود، ويُجلبُ إليه البُرُّ و الحديد، وحاصلات اليمن وما وراء اليمن.

وهناك سوق عدن باليمن حيث يشترون منه اللطائم وأنواع الطيب، ثمّ يرتحلون فيزلون الرابية بحضرموت فيقيمون السوق في النصف الثاني من شهر ذي القعدة، فإلى هذه الأسواق كانت قريش ترسل قوافلها التجارية جنوباً[2]، ومن الأسواق الهامة أيضا سوق مجنة الذي يقوم في أواخر ذي القعدة ويحمل إليه التجار الخمر من الشام من بصرى وغزة [3] وكذلك سوق ذي المجاز وهو قريب من عكاظ ويكون في ذي الحجة[4].

---

(1)- القلقشندي، المرجع السابق، ج1، ص411.
- جواد علي – المرجع السابق، ج4، ص373.
- توفيق برو – تاريخ العرب، ص245.
(2)- أنظر في ذلك سعيد الأفغاني – المرجع السابق، ص276 وكذلك جواد علي، المرجع السابق ج4، ص376.
(3)- الأفغاني- المرجع السابق، ص344.
(4)- أنظر جواد علي، المرجع السابق ج4، ص375 وكذلك محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار ص ص168، 169.
وكذلك:
- Pirenne (J) op, cit, p20

على أن أهم هذه الأسواق هو عكاظ، ويقوم في ذي القعدة أي في موسم الحج، وهو عبارة عن معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، حيث تباع فيه جميع السلع والبضائع الواردة من الشمال والجنوب، والسلع المحلية القليلة. كما أن لهذا السوق حرمته وكل الأسواق التي تقام في الأشهر الحرم الأربعة، محرم، رجب، ذو القعدة، ذو الحجة التي تحرّم فيها الحروب. ففيه يتم حل بعض مشاكل العرب السياسية حيث يتم التحكيم بين القبائل المتحاربة، ويتبادل الفرقاء المتخاصمون ديات قتلاهم ومن كان له أتاوة على قوم نزل على عكاظ فجاؤوه بها، ومن أراد إجارة أحد أعلن ذلك في السوق، وإذا أرادت قبيلة التبرأ من أحد أفرادها يُعلم ذلك في السوق أيضا وإذا أراد أحد أن يلحق آخر بنسبه أعلن ذلك[1].

كما تعقد فيه معاهدات الصلح والسلام، فالسوق تشبه وسائل الإعلام للعرب كافة.

ومن السلع التي تباع هناك الأدم والبز والزغفران و المُرّ والتمر والطيب والقطن والكتّان والأصباغ و الحديد، وليس هذا فحسب بل كانت هناك سلع حيوانية تمثلت في الإبل والثيران و الماشية، وإنسانية متمثلة في الرقيق التي أصبحت مكة أكبر سوق له[2].

---

(1)- برو – المرجع السابق ص247.

(2)- حسين الحاج حسن – المرجع السابق، ص199 وكذلك الأفغاني، المرجع السابق، ص27.
وكذا: Sanger (H R) , op cit,p18

بالإضافة إلى الأسواق التي سبقت الإشارة إليها هناك أسواق أخرى منها سوق حباشة بتهامة يمين مكة و التي يتاجر فيها أهل الحجاز و اليمن وتقام في شهر رجب، وسوق الشحر و المشقر و هو حصن بالبحرين[1]. كما أقيمت أسواق أخرى في يثرب (المدينة) مثل سوق بني قينقاع حيث كان العرب يبتاعون مصنوعات اليهود الذهبية والمعدنية كما كانت هناك سوق يقيمها النصارى تسمى سوق النبط لأن نبط الشام كانوا ينزلون فيها للاتجار بالحبوب[2].

ونظرا لهذا النشاط المكثف خاصة في مكة فقد ظهرت فيها أسواق متخصصة فمنها سوق العطارين، وسوق الفاكهة، وسوق الرطب، وسوق مخصص للحجامين و الحلاقين، وسوق للبزازين، وزقاق للحدائين، وهذه الأسواق المتخصصة لا تكون في مدينة إلاّ إذا كانت قد بلغت شأناً عظيماً في مكانتها التجارية[3]، وفيما يتعلق بعملية البيع في السوق قد نتساءل عمّا إذا كانت هناك طرائق خاصة يتم التعامل بها؟

في الواقع فقد وجدت عدة طرائق منها :

طريقة الرمي أو إلقاء الحجارة أو البيع بالحصاة و كانت معروفة في سوق دومة

---

(1)- أنظر في ذلك جواد علي – المرجع السابق، ج4، ص ص373، 377 وكذلك دروزة، المرجع السابق، ص170.

(2)- توفيق برو – المرجع السابق، ص248.

(3)- محمد علي مغربي، لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام – الطبعة الأولى – المؤسسة السعودية بمصر 1993 ص ص113، 114.

الجندل وتتم على أشكال مختلفة، حيث يرمي المشتري حصاة على ما يريد شراءه مقابل مبلغ من المال معلوم. وبيع الملامسة أي ملامسة اللباس دون تقليب ودون النظر إليه فبمجرد لمس المشتري له يوجب البيع [1]. وفيما يخص الحبوب فلها أنواع أيضا، مثل المزابنة التي يكون فيها الوزن مجهولاً. كما يبيع الرجل التمر في رؤوس النخل بتمر مقطوف، أو كرم بزبيب. و المخاضرة التي تشبه المزابنة لكنها تقع على الثمار الخضر قبل أن يبدو صلاحها. والمعاومة أو بيع السنين وهو أن يبيع الرجل ثمر شجره أو زرعه الذي يخرج في العام التالي أو ما يليه. والطني وهو بيع التمر بالكومة لا يعرف كيلها[2].

وبالنسبة للحيوانات فيتم البيع على ثلاثة أنواع، المجر وهو شراء صافي بطن الناقة قبل الوضع. والغذوى وهو شراء ما في بطون المواشي الحوامل عامة. والرجع وهو بيع الأنثى بعدة ذكور[3]. وبيع التصرية وهو امتناع البائع عن حلب الشاة أو الناقة أيّاماً، فيظن المشترى أنّها حلوب وهي عكس ذلك، و التصرية تعني الجمع[4]. وهناك بيع الناجز أي المبادلة يدًا بيد أي حاضرًا بحاضر. وبيع النَجَش وهو تواطؤ البائع مع رجل آخر من أجل رفع ثمن السلعة[5].

---

(1)- برو – المرجع السابق – ص250.
(2)- أنظر حسين الحاج حسن، المرجع السابق ، ص201.
(3)- نفسه ص201 وكذلك برّو المرجع السابق، ص251.
(4)- برو – المرجع السابق، ص251.
(5)- نفسه ص251.
وكذا: PHILBY (J.B) the Back grand of Islam, Alexandra 1947,p57

5- العملات المتداولة :

عرف العرب والمكيون خاصة عدة عملات تداولوا بها في الأسواق السابقة الذكر، ومن هذه العملات:

الدينار: وهو مشتق من اللفظ اليوناني اللاتيني دينـاريوس، وهو وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب و قد تعاملوا بها مع الرومان[1] كما ورد ذكر الدينار في القرآن الكريم في قوله تعالى:"ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلاّ ما دامت عليه قائمًا " صدق الله العظيم[2].

الدرهم: وهو من العملات المتداولة إلى جانب الدينار، وهو وحدة من وحدات السكة الفضية، واسمه مشتق من الدارخما اليونانية و الذي استعاره العرب من الفرس[3].

وتذكر الروايات أن هناك عمليتين أخريتين وُجدتا وهما: الدانق و الفُلس و هما معربتان عن الرومية و الفارسية وهما من النحاس[4].

وعلى أية حال فإن رواج تلك العملات في الأسواق لدليل على سعة الصلات التجارية بين المكيين و بلاد الشام و بلاد فارس و بالعالم من حولهم.

---

(1)- أنظر عبد الرحمان فهمي محمد – النقود العربية – ماضيها وحاضرها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، 1964م، ص8.
(2)- القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 74.
(3)- عبد الرحمان فهمي: المرجع السابق، ص10.
(4)- دروزة – المرجع السابق، ج5، ص172.

6- العلاقة الخارجية التجارية المكية:

اتصل عرب الحجاز بالشام و اليمن ومالوا إلى اقتباس الأنظمة الإدارية و السياسية فنظّموا شؤون مدنهم، واحتوت شبه الجزيرة العربية نوعين من الحياة، البدو الرجل في الوسط، وحياة الزرّاع المستقرين في الأطراف، وذلك بتأثير البيئة الطبيعة و الظروف الجغرافية وعمل العرب بدوهم وحضرهم في التجارة، واستفاد الحجاز من موقعه بين اليمن جنوباً والشام شمالاً، فصار سكانه وسطاء تجاريين، كما استفادت مكة من وجود الكعبة وأصنام العرب والأماكن و الأيام الحرم[1] فسيطرت قريش على التجارة ونظمت رحلات قوافلها ووطّدت علاقاتها مع الأمم المجاورة بالايلاف أو المعاهدات التجارية[2].

وقد كانت مكة في فترة ازدهارها تعاصر إمبراطوريتين كبيرتين لهما مصالح تجارية تتداخل ومصالحها هما الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية، إلى جانب دولة الحبشة[3]. وكان من الطبيعي أن يكون الجانب التجاري هو محور العلاقات بين هذه الدول ومكة، فبيزنطة كانت تريد الحصول على منتوجات الشرق الثمينة، لكن فارس تسيطر على طرق التجارة البرية عبر الصين و الهند، وطرق التجارة البحرية من الهند وسيلان عبر الخليج العربي، كانت تمثل حجر عثرة أمام

---

(1)- أنور الرفاعي: تاريخ العرب والإسلام منذ العصور القديمة حتى العهد العثماني، دار الفكر بدون تاريخ ص239.

(2)- جواد على المرجع السابق ج7، ص ص303 - 305وكذ لك سعيد الافغاني المرجع السابق ص161و المسعودي ، المرجع السابق ج2 ، ص 331

(3)- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص253.

التجارة مع بيزنطة في أوقات الحرب ممّا يجبرها على دفع ضرائب باهظة على هذه السلع خاصة الحرير والتوابل زمن السلم[1]. وهكذا لم يكن هناك سوى طريق واحد لا تسيطر عليه فارس وهو الطريق الذي يمر غربي الجزيرة العربية إلى سوريا وهو طريق البخور أيضا القادمة من جنوب الجزيرة، وطريق البحر الأحمر الذي لم يكن مطروقاً كثيراً بسبب صعوبة الملاحة في هذا البحر الذي تكثر فيه الشعاب المرجانية التي تعرّض السفن لكثير من المخاطر[2].

على أن البيت الذي تحمّل هذه المسؤولية الهامة في ربط إيلافات[3] قريش التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:" لإيلاف في قريش إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف "[4]، هو بيت بني عبد مناف وهم عبد شمس، نوفل، المُطلب، هَاشم[5].

وكان أوّل من خرج إلى الشام منهم حسب ما رواه البعض هو هاشم بن عبد المطلب، وهو الذي سنّ رحلتي الشتاء والصيف[6].

---

(1)- نبيه عاقل – المرجع السابق، ص254.
(2)- نفسه ص254.
(3)- الإيلاف هو العهد و الذمام، وهو من الألفة والتأليف بين الناس بعد تفرّق، وكذلك هو عبارة عن عقد الحبال مع سادات القبائل والحبل الحلف والمعاهدة على التعاضد و التساعد والاتفاق. أنظر في ذلك جواد علي المرجع السابق ج7، ص ص303، 305، وسعيد الأفغاني، ص161.
(4)- القرآن الكريم سورة قريش، آية 1.
(5)- بن عبد ربه، المرجع السابق، ص ص316، 317.
(6)- الأفغاني – أسواق العرب ص149 وكذلك برو – المرجع السابق، ص178.

ففي فصل الشتاء يكون الاتجاه جنوباً نحو العباهلة من ملوك اليمن، ونحو أليكسوم من أرض الحبشة والسواحل الإفريقية الأخرى المقابلة لسواحل شبه الجزيرة العربية. أمّا في فصل الصيف فيكون الاتجاه معاكسا أي شمالاً نحو بلاد الشام وبلاد الروم[1].

وبعد وفاته في غزة جنوب فلسطين تبعه في تلك الرحلات إخوته حيث سار أخوه عبد شمس إلى ملك الحبشة، ونوفل إلى ملوك العراق، والمطّلب إلى اليمن[2]، لكننا نتساءل عن الرحلتين اللتين سنّهما هاشم بن عبد المطلب، هل أنّه فعلاً سنّهما؟ لأنّه لو كان ذلك فعلا ماذا نسمي الرحلات التي كان يقوم بها العرب في كافة شبه الجزيرة العربية قبله؟ وخاصة باتّجاه الشمال والجنوب؟ فالعرب كان من عوائدهم الترحال لقضاء مصالحهم، فقد كانت هناك إقامة لعرب رحل في سوريا انتقلوا من الحياة البدوية إلى الحياة المستقرة لدرجة أنّهم اختلطوا اختلاطاً كبيرًا بالسكان المقيمين في الشام[3].

---

(1)- جواد علي – المرجع السابق – ج7، ص290 وكذلك الأفغاني- المرجع السابق، ص149.
(2)- أنظر في ذلك زغلول – المرجع السابق، ص 293.
(3)- أنظر في ذلك ديسورنيه - العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1959 ، ص 2 وكذلك ابن خلدون – المرجع السابق ج2،ق2، ص695.

فكانت الرحلات تجري علـى نظام فصـول السنة، ولـهذا فإنه من المحتمل أن لا يكون هاشم بن عبد مناف سن الرحلتين للعرب وإنما نظمها فهذا ممكن، و ذلك عـن طـريق تلك الإيلافـات التـي عقدها إخوتـه، فبعضهـا تمكـنت القوافل المكية من المرور بأمن و سلام نحو العراق، و بلاد الشام و اليمن والحبشة [1]. فقد أخذ هاشم كتابا من قيصر الروم لجلب سلع مكية من الشام وأخـذ أحيـاء العـرب التي مر بها في الشام إيلافا أي تأمين الطريق مـن غيـر حلف، علـى أن تحمـل قـريش إليهـم بضائـع و يـؤدون إليهم رؤوس أموالهم وربحهم [2].

بينما خرج المطلب إلى اليمن فأخذ عهدا من ملوكهم لمن يتاجر إليهـم مـن أهـل مكـة وخاصـة القرشيين لكنّه تـوفـي بردمان باليمـن، وكذلك خرج نوفل إلـى فـارس وأخذ عهدا من كسرى ومن الأحياء العربية لتجـار مكـة، لكنّه مـات بسلمان بالعراق. ومن الغريب والعجيب أن هؤلاء الإخوة ماتـوا كلهم خـارج مكـة فـي مهامهم التجارية عدا

---

(1)- جواد علي – المرجع السابق، ج7، ص301.
(2)- نفسه ص302.
وكذا:

- NIEBHUR (C), op cit ,p79.
Musil (A) , (the Nor thern NEJD) op cit,p66

أخوهم عبد شمس الذي أخذ الإيلاف من نجاشي الحبشة مات بمكة [1] وإلى هؤلاء الإخوة الأربعة يرجع الفضل في اتساع تجارة قريش وكثرة أموالها [2] كما أن التّجار المكيين وصلت بهم المكانة إلى أن أصبحوا يمثلون مصالح مكة السياسية في الحبشة، بالإضافة إلى التفاوض مع النظام لعقد عهود سياسية واقتصادية تجارية.

7- علاقة مكة بشمال شبه الجزيرة العربية:

علاقة مكة بالشمال قديمة تعود إلى عهد الأنباط الذين كانوا يقومون على التجارة في شبه الجزيرة العربية والذين امتد سلطانهم إلى شمال الحجاز، وعمل المكيون على تعظيم مدينتهم بينهم وذلك عندما حملوا أصناماً لآلهة يعبدها النبطيون إلى الكعبة حتى تكون عاملاً لجلب التجار النبطيين و أتباعهم منها هبل[3].

فيأتي التجار الأنباط إلى مكة حاملين معهم الحبوب ومنها القمح، و الزيت والنبيذ.

ولما قدم قصي على مكة جمع قريشاً ونازع بها خزاعة للاستيلاء على مكة، استعان بقضاعة، وهي إحدى القبائل التي كانت تقيم في بادية الشام و تخضع للغساسنة الذين كانوا تحت النفوذ البيزنطي[4].

---

(1)- في وفاتهم بقول الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي:

إذا تذكرت أخي نوفلا *** ذكرني بالأوليات
ذكرني بالأزر الحمر *** والأردية الصغر القشيبات
أربعة كلهم سيد *** أبناء سادات لسادات
ميّت بردمان وميّت بسلمان وميّت عند غزات

أنظر في ذلك ابن هشام – المرجع السابق ج1، ص146.

(2)- أنظر في ذلك جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص302، وكذلك سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ص155، 157.

(3)- عوض الله، المرجع السابق، ص132.

(4)- نفسه ص132.

وحين ورثت بيزنطة سلطان الرومان في المشرق، ورث معه البيزنطيون رغبة الرومان في الاستيلاء على طريق التجارة عبر الحجاز، إلاّ أنّ الطريق عبر العراق كان في يد خصومهم الفرس، و في الوقت الذي حصلت فيه مكة على عهود من الحميريين والأحباش على المتاجرة معهما، حصل أحد زعماء مكة وهو هاشم بن عبد مناف على عهد من الغساسنة و الروم على المتجارة في أرض الدولة البيزنطية[1]، وبهذا العهد أخذت تجارة قريش تنمو بشكل مطرد تجاه الشام وممّا زاد ذلك حاجة البيزنطيين إلى ما يحمله تجار مكة من بضائع يصعب على البيزنطيين الحصول عليها من خصومهم الفرس[2].

و عن علاقتها بالفرس والحيرة فقد توطدت بفضل العهود التي أخذها نوفل بن عبد مناف من كسرى للمتاجرة في البلاد الفارسية و قد سبقت الإشارة إليه على أن الاتصال التجاري لم يكن بنفس الحجم الذي بين مكة والبلدان الأخرى، لأن الفرس كانوا على اتصال مباشر بالتجارة الشرقية، كما أن تجارة الفرس مع العرب كانت بواسطة ملوك الحيرة الذين كانوا يرسلون متاجرهم إلى أسواق مكة في حماية بعض القبائل العربية[3].

---

(1)- عوض الله، المرجع السابق، ص132.
(2)- الزهراني غباشي ، المرجع السابق، ص12.
(3)- أنظر إبراهيم الشريف، دور الحجاز ، ص ص41، 42.
وكذا:
Buxton (L H.D) the people of Asia, London,1925,p77

8- علاقة مكة بجنوب شبه الجزيرة العربية:

ارتبطت مكة منذ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام بعرب الجنوب الذين وجدوا في مكة مقراً لإقامتهم أثناء قيامهم برحلات إلى الشام. و توسعت علاقاتها التجارية مع الجنوب في عهد المعينيين عندما جاءت القبائل اليمنية إليها وسكنت فيها.

وفي عهد قريش اتصل أحد رجال مكة وهو عبد المطلب بن عبد مناف بأقيال اليمن الحميريين وعقد معهم اتفاقاً على أن تقوم قريش بالمتاجرة في أرضهم، وقد اتصلت تجارة قريش باليمن منذ ذلك الوقت أي منذ بداية القرن السادس الميلادي[1].

وكما حظيت مكة وبيتها الحرام بمكانة ونفوذ كبيرين بين عرب الشمال فكذلك الأمر بالنسبة لعرب الجنوب، ويتضح ذلك من خلال تصدي بعض القبائل اليمنية وغضبها من حملة أبرهة على مكة.

و قد قامت علاقات صداقة و مودة بين زعماء مكة و رجالات اليمن، حيث تشير بعض الروايات إلى صداقات عبد المطلب بن هاشم وبعض أقيال اليمن و وفاداته عليهم، و قدوم وفد تحت قيادته لتهنئة سيف بن ذي يزن بالانتصار الذي حققه على الأحباش، وحظي بعظيم عطفه وكرمه[2].

---

(1)- عوض الله، المرجع السابق، ص129.
(2)- نفسه، ص130.
وكذا:

- Huart (C), op ,cit ,p42.
- Jame (A) ,ANEW inscription. south Arabia, 1968,p18.

و منذ ذلك الحين اتصلت تجارة مكة باليمن و سيطرت قوافلها التجارية على نقل السلع و تضاءل دور اليمنيين تدريجيا.

أمّا علاقة مكة بالحبشة فقد بدأت منذ أن خرجت بتجارتها إلى المجال الخارجي، ففي الوقت الذي اتّصل فيه عبد المطلب بن عبد مناف بأقيال اليمن، اتصل أخوه عبد شمس بالنجاشي و أبرم معه اتفاقا مماثلا ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحبشة وجهة وتجارة قريش، بحيث كانت مصدرًا من مصادر التجارة الشرقية فهي تنتج النخور و اللاّدن و الأطياب و ريش النعام والعاج و الجلود والتوابل، كما كانت مصدرًا للرقيق الأسود، وفي مقابل هذه السلع التي تأخذها قريش كانت تحمل إليها حاصلات الشام ومصنوعاته، ومن حاصلات شبه الجزيرة العربية[1].

و قد فكّر حاكم اليمن الحبشي في منافسة مكة تجاريا بإقامة كنيسة أو القلّيس في صنعاء حتى يجلب إليها العرب للحج و المتاجرة مثل ما تفعله الكعبة بالنسبة لمكة وبالتالي وضع يده على تلك المحطة التجارية، وحتى يتم الاتّصال بين الحبشة عبر الطريق البرى مع بيزنطة حليفتها التي كانت تسيطر على الشام و التي ساعدت

---

(1)- عوض الله، المرجع السابق، ص130.
- الزهراني، غباشي لمرجع السابق، ص11.
وكذا:

Jame (A) ,op, cit,p20

الأحبـاش فـي احتلالـهم اليمـن[1] لكـن هـذه الحملـة فشلت. وعلـى الرغم من ذلك فإن العلاقات ظلت قائمة بين الطرفين لاحتياج كـل منهمـا الآخـر، بمعنـى آخـر للمصالح المتبادلة وذكر لامانس بأنّ تجار نجران المسيحية كانـوا يحضرون مكـة أثنـاء مواسم التجارة في أسواق عكاظ و ذي مجاز[2].

ولم يكن اتصال تجّار مكة بالصومال و الحبشة يتمّ فقط عن طريق اليمن، و إنّما كان هناك طريق آخر بحري. فقد كان لمكـة مينـاء علـى البحـر الأحـمـر يسمًى الشعيـبة، استخدمـه التجـار المكيـون مـع الموانئ القـريبـة منـه للاتصـال بالحبشة و الصومـال ومصر أيضـا[3]. لـكـن السؤال المطـروح هـو كيف كـان القـريشـيـون أو أهـل مـكـة ينتقلون؟ لأنّـه من المعروف أن قريشا لم تـكـن تملك سفنًا في البحر الأحمـر؟ فلـربّمـا استخدموا سفنـًا تعمـل لحسابهم، بكِرَائها، وقد يكونوا ملكوها فيما بعد بشرائها بإعتبار أنّـهم يمتلكون ثروة تسمح لهم ذلك.

---

(1)- إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص ص37، 39.

(2)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص369. وكذلك - LAMMENS ,LAMECQUE , p 129.

(3)- عوض الله، المرجع السابق، ص140.
- إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص229.

وهكذا نلاحظ أنّ التجارة التي تحمل من الجنوب أو من الشمال أو من الشرق تفرغ في مكة، حيث تستهلك ما تحتاج إليه محليا، ثمّ يحمل الباقي إلى الأماكن المحتاجة إليه، فتحمل حاصلات الجنوب إلى الشمال كما تحمل حاصلات الشمال إلى الجنوب إضافة إلى حاصلات البادية العربية وممّا تجمعه قريش من تجار أهل البادية والمدن الحجازية، ممّا يحمل إلى مكة أو إلى الأسواق القريبة منها في عكاظ و مجنة و ذي المجاز في موسم الحج[1].

كما كان لمكة صلات تجارية كبيرة بالطائف التي كانت تنتج الزبيب و النبيذ الذي كانت تستهلكهُ مكة كثيرًا، و الجلود المدبوغة، وكثيرا ما كان المكيون يشركون أهل الطائف في قوافلهم التجارية. و صلات تجارية أخرى هامة بيثرب حيث يختار أهل مكة من ثمرها، و يشترون كثيرًا ممّا تنتجه من الحلي و السلاح التي كان اليهود يقومون على صناعتها[2]. وأصبحت بذلك مكة سوقا تعجّ بالتجار و السلع و البضائع من كل ناحية و خاصة من الشام و الروم و الفرس.

---

(1)- عوض الله، المرجع السابق، ص143.
(2)- نفسه، ص143.

الـفصـل الثالث

- الفصل الثالث:

- نشاط مكة التجاري بين التأثير والتأثر.

1- أثر الصراع الدولي على تجارة الحجاز.

2- أثر التجارة على مجتمع مكة.

أ-الحياة الدينية:

ب-النظم الحربية.

3- التعريف بأهم المراكز التجارية

1-مكة .

2-يثرب.

3-الطائف.

نشاط مكة التجاري بين التأثير والتأثر

1- أثر الصراع الدولي على تجارة الحجاز

يذهب معظم الدارسين للتـاريخ الـسياسي قديمـه و حديثـه و معاصـره أن الصراعات المختلفة بين الكيانات السياسية و التجمعات القبائلية و الإمبراطوريات القديمة و الدول الحديثة و المعاصرة ، إنما يكون بداية هذا الصراع هـو سـوء التفاهم على نقطة أو نقاط معينة سواء سياسية أو اقتصادية .

و تجبر استراتيجية سياسة الحفاظ على المصالح والـدفاع عليهـا اسـتخدام بمختلف الطرق والوسائل الأخلاقية ولا الأخلاقية والسياسية والعسكرية ، تـؤدي هذه التوجهات كلها إلى الصدامات والمواجهة ، ثم الصراع على اختلاف أوجهه ، وذلك في ظل غياب منطق الحق و العدل والعقل وبالتالي كثير ما يسود في هـذا الإطار قانون الغاب، وسيادة المصالح وهو نفسه القانون الذي خضعت له الـبلاد العربية عموما ، خلال مراحل تاريخها القديم واليوم . والحجاز باعتباره منطقـة عربية استراتيجية تتحكم في أهم مورد شغل بال العالم القديم تجارا وحكاما ، فإنه استلزم السيطرة على المنطقة وفقا للقانون المذكور .

و قبل أن نحدد كلامنا في الإطار الزمني المحدد له ، فإننا نرى أنه يجدر بنـا أن نلقي و لمحة خاطفة حول خلفيات الصراع على المنطقة ككل . لقد كانت شـبه الجزيرة العربية على اتصالات تجارية برية و بحرية كبيرة مع الشعوب المجاورة لها . و لعل هذا النشاط هو الذي أثار انتباه الشعوب المجاورة القديمة إلى أهميـة التجارة و أرباحها الطائلة التي تدرها عليهم ، و لقد كانت التجارة ثـروة الـشرق تجني أموالا طائلة على خزينة الدولة التي تسيطر على هذا المورد ، لهذا دفعـت بالكثير من القادة و الأباطرة إلى التفكير باحتلال المنطقة منهم الاسـكندر الـذي وجه أنظاره نحو الشرق الأدنى و الأقصى .[1]

(1)- أرنولد توينبي : تاريخ البشرية ، ج1 ، ترجمة نقولا زيادة ، دائر الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1981 ، ص 201 .

و في الحقيقة أن ذلك الصراع ما هو إلا خلفية للصراع الذي كان دائرا بين الشعوب و القوى الكبرى المتمثلة في الفرس و المدن الدول الإغريقية . فلقد رأت الإمبراطورية الفارسية في تدخل الإغريق في آسيا الصغرى و تحريضهم لرعاياهم ضد فارس رأت من الواجب احتلال العالم الإغريقي عندها بدأ الاصطدام الحقيقي بين الطرفين ، و الذي أدى إلى احتلال الإغريق من طرف الفرس لأول مرة سنة 546 ق م وبعد ذلك كانت الاصطدامات بينهما متقطعة تارة تدور أحداث الصراع بآسيا الصغرى و تارة تهاجم فارس الإغريق في أراضيهم الأوروبية محاولين السيطرة على البحر الإيجي بشاطئيه الشرقي و الغربي ، خاصة في عهد دارا الأول الذي أقام جسرا أروبيا يمتد بين مجرى الدانوب الأسفل و جبل أولمبس ، محاولين تأسيس مملكة إغريقية ، لكنه فشل و لم يستطع خلفاؤه الحفاظ على أملاكه في أروبا الإغريقية . أمام ظهور التكتل السياسي للدول الأروبية الإغريقية المحاربة بقيادة فيليب الثاني المقدوني الذي مهد لإبنه لإزالة الخطر الفارسي [1] و من دراسة فتوح الاسكندر الاستعمارية يظهر و أن هدفه هو التوسع و ضرب احتكار الفنيقيين و العرب في تجارة الشرق ، بل الوصول إلى الهند بحيث بعد أن أكد سلطته على بلاد اليونان وجه نظره نحو بلاد العرب، بحيث أراد استكمال إنجازه السياسي بسيطرته على بلاد العرب بل و احتلال الإمبراطورية الفارسية و بالتالي تأسيس إمبراطورية عالمية تهيمن على التجارة وطرقها في العالم .[2]

و من هنا فهو لا يريد السيطرة على فارس بقدر ما يريد السيطرة على مناطق تكفل له أمن الطرق التجارية . و لأجل تحقيق هذا الهدف العسكري لجأ إلى سياسة معينة كبناء المدن و جعلها إضافة إلى هدفها العسكري مخزنا لتجارة

---

(1) – أرنولد توينبي : المرجع السابق ، ج2 / ص 139 .

(2)- نفس المرجع ، ص 201 .

وكذا : -Hubert (C), op ,cit, p119.

الشرق ، و لا سيما و أنه لمس عظم التجارة التي كانت تمر بالمنطقة عبر البحـر الأحمر بين الشرق و الغرب ، و أهمية بعض المواد الأولية ، فهو لم يكتف بذلك بل سيطر على الطرق التجارية بحيث أرسل بعثات استكشافية من أجل الـسيطرة على التجارة ، و معرفة المسالك التجارية بحيث يقول " سترابون " **إن الاسكندر فكر في ذلك ليجعل نفسه سيدا لبلاد العرب** " [1] و بعد وفاته سنة 323 ق م أدرك خلفاؤه أهمية النشاط التجاري في المنطقة و لمـسوا أرباحـه الطائلـة فتنـافس السلوقيون و البطالسة حول استكشاف و السيطرة على مجاهـل البحـر الأحمـر ويشبهه بعض الكتاب بالغزو و التكالب الأوروبي إبان الكشوف الجغرافيـة فـي القرن السادس عشر الميلادي في أروبا . فكل خليفة حاول إكمال ما بدأه الاسكندر [2] .

و استطاع البطالسة تحويل تجارة البحر الأحمر من أسواقها الأصلية إلى مصر ، و منها إلى أسواق اليونان و الرومان . و بذلك ضبطوا الممـر المـائي العـالمي القديم، و اهتموا بالطرق الصحراوية القوافل بحيث وجدت كتابة تعود إلـى سـنة 130 ق م تشير إلى موظفي مسؤول على سير القوافل و عن الطرق الصحراوية الممتدة إلى نجد و الحجاز [3] .

ثم جاء بعدهم الرومان الذين حكموا مصر و سيطروا على البحار و تمكنوا مـن السيطرة و انتزاع المغانم من التجار العرب و من إلحاق بالغ الأثر بهم و بـذلك وضعوا لمن جاء بعدهم من دول أروبا خطط السير للسيطرة عل البحار و على

-(1) – أهم البعثات التي أرسلها الاسكندر نحو البحر الأحمر – بعثة أندروثنيس – بعثة هيـرون الـصولي أنظر منذر البكر : العرب التجارة الدولية منذ اقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني دارسة نـشرت فـي مجلة المريد ، كلية الأدارب جامعة البصرة العراق ، السنة الأولى ، العدد 4 1970 ص71 .

-(2)- نفس المرجع /ص 90 .

-(3)- لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق / ص 424 .

وكذا: strabo ,the geograply of Strabo translated.By H.L.Jones, London, 1958;T2,p15.

العالم القديم , و يعتقد المؤرخون أن ظهور روما كقوة على مـسرح الأحـداث كانت في نفس الوقت الدول المتأغرقة بما فيها مصر و سـوريا قـد بـدأت فـي التدهور و التي تحولت إلى ولايات رومانية ، ثم دخلت في صراع مـع الدولـة الفرثية (فارس) استمر سجالا من القرن الأول ق م ، و قد تسبب هذا العداء فـي تهديد الفرثيين عن طريق التجارة البرية الواقعة في أقصى الشمال من شبه الجزيرة العربية ، و التي كانت تربط روما بالشرق الأقصى مرورا بآسيا الصغرى ، لهذا حاولت تأمين الطريق البرية في شمال شبه الجزيرة محاولة السيطرة فـي حـدود الإمكان على الطريق البحرية بالأحمر إلى المحيط الهندي [1]

و يعتقد بعض المؤرخين أن القيصر الروماني (أغـسطس قيـصر) مـن أهـم القياصرة الذين وجهوا اهتمامهم نحو الشرق و لخص سترابون غرضه قائلا :**اما أن يسيد العرب و اما أن يخضعهم ... و أما أن يحصل على أصدقاء ميسرين ، و أما التغلب على أصدقاء ميـسرين** " و هنا يظهر أن الصراع هو الحفاظ علـى المصالح التجارية بطرق تقليدية ، و أن الملاحين من غير العرب توغلـوا فـي البحر الأحمر منذ عهود قديمة و أن هذا البحر كان لمن يملك القـوة و الـسيطرة عليه ، بحرا يونانيا أو رومانيا بيزنطيا ، حرسوه بأساطيل قوية ضمنت لهم التفوق فيه . و لم يكن في وسع الفرس ولوجه أو التوغل فيه فأغلب الدراسات تـرى أن البحرية الساسانية في القرن الخامس للميلاد و تجارتها على أنها غامضة خـلال هذه الفترة بل و تؤكد بعضها عن عدم وجود انشغال بحر ساساني بالبحر الأحمر في العهود القديمة (2) .

- - - - - - - - - - - - - - - -

(1)- نفسه ص 426 .

(2)- منذر البكر : المرجع السابق / ص 90 .

وكذا: -Thomas Bertram , Arabia Felix, N. Y1918 , p32 .

في حين دخل الأحباش البحر الأحمر فكانوا يـسيرون سـفنهم بـين الـسواحل الإفريقية و السواحل العربية الغربية و الجنوبية و لو لم تكن لهم قوة بحريـة مـا تمكنوا من السيطرة على اليمن و مواضع أخرى من بلاد العرب . و ذكـر أهـل الأخبار أن الجار و هي مدينة على ساحل بحر القزم بينها و بين المدينة يوما وليلة ترفأ إليها سفن الحبشة التي لم تكن سفنها قوية و كثيرة مثل اليونان (1) .

و من هنا نلاحظ أن الدول الكبرى أدركت أهمية الحجاز فأخذت تتطلـع إلـى السيطرة على الطريق التجارية إلى الهند عبر البحر الأحمر بحيث سير الرومـان حملة بقيادة " أليوس جالوس " ثم محاولة " جستينيان " الـسيطرة علـى الأقطـار المطلة على البحر الأحمر ضد فارس و بالتالي السيطرة على حرير الصين ، في حين كانت فارس تراقب ذلك التحرك من وادي الرافدين (2) .

و من هنا تظهر محاولة البيزنطيين كخلفاء لروما السيطرة على منطقة الحجـاز بفضل حليفهم المتمثل في الأحباش الذين استولوا على اليمن .لكنهم فشلوا في بسط نفوذهم على الحجاز ، و ذلك بفشل حملة أبرهة .

لكن سرعان ما انحصر النفوذ البيزنطي في فلـسطين أمـام التوسـع الفارسي ، فاستغل الحجازيون هذا الوضع ليرفعوا من مكانتهم التجارية الرفيعة و يسيطرون على الطريقين التجاريتين البريتين من مكة إلى الفرات و دجلة و اليمن و الهند و حققوا أرباحا طائلة [3].

و من هنا دخلت الحجاز فعليا دائـرة الـصراع الـدولي باعتبـاره منطقـة استراتيجية من الناحية الاقتصادية (التجارية) فلقد كانت فترة ازدهـار الحجـاز تعاصر إمبراطوريتين عظيمتين لها مصالح تجارية تتداخل مصالح الحجاز ، هما

-(1)- جواد علي : المرجع السابق / ج7 / ص 269 .

-(2)- الأرزقي : المرجع السابق ، ج 1 / ص 283

-(3)- عبد العزيز سالم : المرجع السابق / ص 289 .

الإمبراطورية الفارسية و البيزنطية ، هذا فضلا عن دولة ثالثة أقل أهميـة مـن هاتين الإمبراطوريتين هي دولة الحبشة ، و لقد كان طبيعيـا أن يكـون الجانـب التجاري هو المحور الذي ستدور حوله العلاقات بين هذه الدول و الحجـاز (1) . فبيزنطة كانت تريد بأي ثمن أن تحصل على منتجات الشرق الثمينة ، لكن فارس التي كانت تسيطر على طرق التجارة البرية عبر الـصين و الهنـد و الطـرق البحرية من الهند و سيلان عبر الخليج العربي كانت تقف كحجرة عثرة في وجـه التجارة مع بيزنطة أوقات الحرب ، و تجبرها على دفع ضرائب باهضة على هذه التجارات و لا سيما الحرير و التوابل . و هكذا لم تكن هناك سوى طريق واحـدة أخرى لا تسيطر عليها فارس و هي الطريق التي تمر غربي الجزيرة إلى سوريا (و هذه الطرق هي أيضا طريق البخور القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربيـة عبر الحجاز نحو الشمال) . و طريق البحر الأحمر التي لم تكن مطروقة كثيرا ذلك بسبب صعوبة الملاحة في هذا البحر الذي تكثر فيه الشعب المرجانية التـي تعرض السفن إلى كثير من المخاطر ، و زمـن سـيطرة جيـستينيان اتجهـت الإمبراطورية البيزنطية وجهة جديدة تتمثل في سعي هذا الإمبراطور في استرداد ممتلكات الإمبراطوريات الرومانية القديمة ، و حتى يتفرغ للجهة الغربية و عدم قدرته على فتح جبهتين في آن واحد ، فلقد عقد سلم مع فارس و دفع لها الجزيـة لتأكيد نية السلم ، ثم أوعز إلى الأمير الغساني لتوزيع نفوذ بيزنطة و أعطاه اسم " فيلارك" لتوطيد نفوذ بيزنطة بالمنطقة على الأعراب و تشجيعهم علـى اعتنـاق المسيحية و هي وسيلة من وسائل التوسع البيزنطي [2].

---

1)- نبيه عاقل : المرجع السابق / ص 238 .

(2)- نفس المرجع / ص 239 .

وكذا: - Thomas (b), op,cit,p33 .

هؤلاء البيزنطيين الذين أقاموا علاقات ود و صداقة مع الحبشة النصرانية رغـم الخلاف المذهبي، و أصبحت الحبشة حليفة و ممثلة لبيزنطة و مصالحها بالجنوب العربي . بل هناك من يذهب إلى أن احتلال الحبشة للـيمن سـنة 525 م كـان بمباركة جيستينيان ثم الإطباق على أهم الطرق التجارية من الجنوب عبر الحجاز نحو الشمال بواسطة إمارة الغساسنة و بالتالي الوقوف أمام التوسـع الفارسـي . وبعد موت جيستيسيان يدخل الصراع الفارسي البيزنطي مرحلته الأخيرة . ففـي سنة 570إلى 575م استطاع الفرس طرد الأحباش من جنوب الجزيرة و أقـاموا عوضا لذلك حكما محليا مواليا لهم . وعندها حاول الفرس في شمال عن طريـق حلفاءهم المناذرة و اللخميين في الحيرة أن يوجهوا تجارة شبه الجزيرة العربية إلى فارس خاصة منطقة الحجاز ، بحيث كانت الكثير من القوافل التجاريـة تـستعمل الطريق الشاطئ الغربي للجزيرة المار بمكة و منها على الخصوص قوافل كسرى التي كانت تحمل البخور و المنتجات المحلية إلى الأسواق العربية الغربية[1].هنا يتبادر إلى أذهاننا سؤال ، ما هو موقف الحجازيين من الـصراع الـدائر حـول منطقتهم من قبل القوى الكبرى آنذاك بيزنطة و فارس ؟

يلاحظ أنه كانت هناك صداقة تقليدية بين الحجاز و بيزنطة خاصة و كان مـن مظاهرها ما ذكره ابن قتيبة عن قصي بن كلاب في نزاعه مع خزاعة بحيث تلقى قصي مساعدة من قبل الغساسنة حلفاء قيصر أو غيرهم من العرب حلفاء روما ،

(*)-الحبشة بمذهب الطبيعة الواحدة ، بيزنطة أرثوذكسية

-(1)- نبيه عاقل : ص 240 .

-Wilson (A) ,the Persian Golf, N,Y,1928,p14.

كما كان لسيطرة الأحباش على اليمن حدثا صـعيدا للتجـارة الحجازيـة لكـون الأحباش حلفاء بيزنطة و بالتالي مرتبطة بعلاقة صداقة وود مع الطرفين اللـذين يلعبان دورا رئيسيا في احتكار تجارة الطريق الغربي للبحر الأحمر (1) .

ويتوقف نوعا ما النزاع الفارسي البيزنطي في هـذه الفتـرة (القـرن الـسادس الميلادي) فلقد ساد نوعا من الهدوء نتج عنه ازدهـار مكـة التجـاري ، فأقـام الحجازيون علاقات ود و صداقة مع عدة أطراف محلية و دولية ، لكـن النـزاع سرعان ما ظهر من جديد نظرا للاحتلال الحبشي لمنطقة اليمن يجعله في مركـز قوة (الحجاز) و يوجه نظره لاحتلال الحجاز و تحطيم أسس ازدهـاره و هـي التجارة ، ووفود الحجاج على بيت الحرام فجاءت حملة أبرهة الحبـشي لتهـديم الكعبة و تحويل الناس عن عبادتها و بالتالي إلغاء دور مكة التجاري كوسيط و من هنا فقد امتزج العامل الديني و التجاري في تلك الحملة أبرهة التي كانت نهايتهـا الفشل ، لقد كان الصراع بين القوى العظمى في العالم و احتلال فارس للـيمن أن التزم الحجازيون جانب الحياد في هذا الصراع ولان ما يهمهم سـلامة تجارتهـا وحسن العلاقة مع القوى الحاكمة في اليمن و كانت باقي أجـزاء شـبه الجزيـرة العربية غير خاضعة للنفوذ الفارسي الفعلي و المباشر فحتى نفوذهم في اليمن كان ضعيفا و استفادت منطقة الحجاز من الحالة القلقة من النفوذ العـسكري الفارسـي بالمنطقة .

-(1)- نبيه عاقل: نفس المرجع /ص 241

-(2)- -M- RODINSON : MOHAMED ; LONDON , 1971 P06

ويلاحظ أن الحجاز بقيادة مكة حاولت أن تستغل ضعف الفرس و انهيـار النفـوذ الحبشي باليمن و إقصاء الفرس الذين حاولوا منافسة الحجازيين و السيطرة علـى الطرق التجارية المؤدية من الغرب نحو الحيرة يتجلى ذلك فـي حـادث حـرب الفجار (*) بحيث أن خليعا للحجازيين ، هاجم قافلة من الحيرة التي كانت تحـت النفوذ الفارسي ، كانت متوجهة إلى الطائف بحيث بدا واضحا أن للحجاز أهـدافا تجارية تخالف الأهداف الفارسية و بالتالي إما إغـلاق هـذه الطريـق أو تأكيـد سيطرتهم عليها ، بل سيطرتهم تعدت إلى الطريق الجنوبيـة الرئيـسية ، بحيـث ظهرت الأرستقراطية التجارية الحجازية خاصة المكية فرضت نفسها في تجـارة اليمن (بني عبد شمس ، بن مخزم....) بحيث شاركوا اليمنيـين فـي قـوافلهم التجارية الذاهبة إلى اليمن و أعطوهم نصيبا من أرباح القوافل المـشتركة و رأت بيزنطة أهمية الحجاز التجارية و ازدياد احتكار الحجـازيين للطـرق و القوافـل التجارية شمالا و جنوبا شرقا و غربا ، فتوجت عثمان بن الحويرث ملكا على مكة زعيمة التجارة . و كان لهذا الرجل علاقات صداقة مع قيصر ، وهو من اللـذين ساحوا في الأرض بحثا عن دين يرضيهم فتنصر و عندما ذهب إلى مكة أعلن أن قيصر توجه ملكا عليهم ، فثار ضده الأسود بن عبد العزى و استطاع أصـحاب المصالح التجارية أن يطردوه وبالتالي إفشال المشروع البيزنطـي فـي فـرض سيطرة أجنبية على مكة و جعلها وسيطا يخـدم المـصالح التجاريـة البيزنطيـة ببيزنطة التي أرادت أن تقيم في الحجاز (مكة بالضبط) نظاما خاصا مواليا لهـا مثل الحكم الغساني في الشام يكون تابعا وخادما لمصالحهم .

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(*)- حرب الفجار و هي واقعة في أولها بين كنانة و هوازن و الثانية بعد عام الفيل ب 20 سنة في أواخـر القرن 6 م بين كنانة و قريش و بين بني عامر و سميت بذلك لأن الفريقين استحلا الأشهر الحـرم أنظـر : جورجي زيدان : المرجع السابق) ،ص 45.

هذا هو الجو السياسي و الصراع الموجود بالمنطقة التي ستحدد شكل الأرضـية التي واجه بها الإسلام الأعداء و الكفار و الدول العظمى انطلاق من الحجاز .

2-اثر التجارة على المجتمع الحجازي :

تعتبر التجارة الحجازية من العوامل التي ساهمت إلى حد كبير في بلورة المنطقة اجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا و حضاريا . فالأجدر بنا أن نتناول التجارة و دورها في نقل و صهر التيارات الحضارية في المنطقة .

لقد حققت تجارة القوافل ازدهار الحياة الاقتصادية و اتساع الممالـك و عظـم العمران و كذلك زادت من أواصر الصلة و العلاقة بين منـاطق شـبه الجزيـرة العربية و قبائلها من جانب و بينها و بين أقطار الشرق الأدنى القديم مـن جانـب الأخر .و كانت حصيلة عصر من الازدهار الحضاري للامة العربية في تاريخها القديم و الازدهار التجاري بوجه خاص فانتقلت بعض المراكز العرب القديمة إلى مصاف المراكز الحضارية المتقدمة و منها على وجه الخصوص ممالك المعينين و السبئيين ... و مملكة الأنباط و تدمر ، فلقد قامت منطقة الحجاز بنقل منتجـات الشرق إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط و بالتـالي لعبـت دورا كبيـرا فـي الازدهار الحضاري و تقوية الاقتصاد لاستقطاب حركـة التجـارة و خطوطهـا الرئيسية .

ففي الميدان الزراعي مثلا ساهمت عملية النقل و الاتجار في اسـتنبات عـدة أنواع من النباتات المقولة من بلدان أخرى (*)، مختلف الأنواع و أشاعوا استعمال هذه النباتات المنقولة في مناطق عديدة من مراكز المدن العامرة في معظم سوريا كما كانت حركة النقل و الاتجار هذه واحدة من وسائل الاتصال الحضاري بـين مراكز الحضارات القديمة في الشرق القديم و الشعوب و الأمم

-(*)- من أهم النباتات المستوردة (التين الوحشي و الزيتون البري الذي يستخرج منه دهان قـاتم يـسمى القطران . أنظر : جواد علي المفصل ج7 . – **المرخ** نبات يستعمل لإشعال النار يقال أنهم أتوا بهذه النباتات من الشام و العراق و أصبحت موجودة بالمنطقة أنظر :

.Monroe (E) Arabia from Incense ,to oil, Riyadh 1976,p57.

المختلفة الأخرى و سببا قويا في تفاعلها و يبدأ ذلك بالسلع و المنتجـات التـي تمثل جوانب من الحضارة المادية المتنقلة أو من خلال الناس الذين ينقلون معهـم الأفكار و العادات و النظم و التقاليد . [1] لذلك لعبت التجارة العربية الحجازية في القديم و طرق قوافلها دورا عظيما في تهيئة فرص التفاعل الحضاري بين مراكز حضارات الشرق الأدنى القديم و تعدته إلى بلاد اليونان و آسيا الصغرى . لهـذه الأسباب أصبح الحجاز و باقي مناطق الجزيرة هدفا لأطماع اليونان والرومان ولم يتوقف حتى زمن الساسانيين .

والملاحظ أن بعض هذه المنتجات و السلع تنقل معها إضافة إلى مقومات صناعتها من حيث أشكال وحجم و الزخارف التقنية جانبا من الأجواء الفكرية والعـادات والتقاليد التي تحيطها ، فتترك أثرها في مناطق استعمالها بمـرور الوقـت فلقـد انتشرت مثلا من استعمالاتها للبخور أواني خاصة تستعمل في أماكن معينة ومـع انتقالها تنتقل تدريجيا تقنية صناعتها و أشكالها و زخارفها و ربما حرفياتها. كما يمثل أولئك العاملين بالتجارة و العاملين على نقل البـضاعة و حمايتهـا بحيـث يشكلون في حالات القوافل الكبيرة عددا كبيرا ، يذهبون مع القافلة إلـى أمـاكن مختلفة ، و بسبب طرائق البيع و الشراء القديمة فإن أصحاب القافلة يـضطرون للانتظار مدة ليست بالقصيرة من الزمن في هذا المكان و بذلك يحتكـون بالنـاس المختلفين عنهم في لغتهم و دياناتهم و عاداتهم و طراز حياتهم ، عندها تبدأ عملية الأخذ و العطاء الحضاري و تتحول هذه الحالة عند تكرارهـا كمـا كـان حـال القرشيين في رحلة الشتاء و الصيف إلى أساس التفاعـل بـين ثقافـات التجـار الأجانب و ثقافات المراكز و المدن المختلفة التي يرحلون إليها و بذلك يمكن

---

(1)- رضا جواد الهاشمي : تجارة القوافل في تاريخ العرب القديم – دراسة نشرت ضمن دراسات معنونـة بتجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر – صدرت عن معهد البحوث و الدراسـات العربية بغداد 1984 ص ص 23-24 .و كذا:. Monroe, op ,cit,p 58

تصور مراكز الأسواق التجارية الرئيسية أشبه ببوتقة تنصهر فيها ثقافات وعادات جميع الذين يعملون فيها .[1]

و بسبب احتواء الحجاز لأبرز الأسواق العرب فقد مكنها ذلك من أن تتبـوأ فـي اللغة المكان الأعلى لأن لغات القبائل عامة يمنييها و عمانييها و شامييها وعراقييها و نجدييها ، تطرف مسامعهم على الدوام فيختارون ما يحسن و ينفون ما يقـبح ، وبعد زمن كاف كانت قد خلصت إلى لغة ممتازة و تهيأت لينزل بها القرآن .فكان من الحجازيين عددا لا يستهان به من الذين يعرفون القـراءة و الكتابـة بـسبب احتكاكهم بمراكز المعرفة المجاورة كذلك حاجة التجارة و أمورها إلـى الإلمـام بالقراءة و الكتابة سبب الانفتاح الفكري الذي عاشه القرشيين و الأسواق أيـضا . فزيادة على دورها التجاري فقد كانت ميدانا لتبـادل الآراء و عـرض الأفكـار والتشاور و مجالا للتفاهم و ناديا لإلقاء روائع الشعر أدى إلى معرفـة الـصناعة اللسانية و يجتمع فيها الرواة و النقاد الذين لعبوا دورا كبيرا فـي تنقـيح الـشعر وتهذيبه (2) . فهذا الاجتماع يعبر عن حالة من حالات الحضارة و محطـة مـن محطات المدنية و أدى إلى تقارب أكثر بين اللهجات العربية ، كذلك كان لها دورا سياسيا إذ تحولت إلى تجمعات لعقد التحالفات والعهود بـين القبائـل .و كانـت تؤدي دورا فنيا هاما بحيث تضم متنزهات تغني فيها القيان ، و طبيعي أن يتوافد الشعراء و المغنون إلى الأسواق و من الناحية الاجتماعية كانت وسـيلة لتـزويج البنات اللائى أردن الزواج و الثأر من القاتل (3).

و أدى اهتمامهم بالتجارة إلى معرفة الكواكب و المواقع و طلوعهـا و غروبهـا ليهتدوا بها في ظلمات البر و البحر ، و سموها بأسماء خاصة ، ذكروا قسما منها

-(1)- رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق / ص 28 .

-(2)- علي إبراهيم الحسن : التاريخ الإسلامي العام ، مصر بدون تاريخ ، ص ص 107- 108 .

-(3)- حسين الحاج حسن : المرجع السابق / ص 198 .

وكذا: : Musil, (the Nor thern HEGAS) ,op cit, p45.

في أشعارهم مثل الفرقديين .وقد ذكر بعض المؤرخين أنهم (الحجازيين) إذ سألهم سائل عن الطريق المؤدية إلى البلاد الفلاني قالوا له عليك بنجم كذا وكذا، واهتموا بمعرفة الرياح للاهتداء بها في أسفارهم كما حصلوا من تجاربهم التجارية الطويلة على معرفة كبيرة بالطرق المختلفة ،وذكر الأماكن و أهم الآبار ومـوارد الحيـاة المهمة في تحديد هذه الطريق أو تلك والجبال والقبائل التي تخترق الطريق أرضها ومن هنا فالحجازيون كانت لهم معرفة بالجغرافية فلقد حفظ لنا الـشعر العربـي إشارات كثيرة من مواضع جغرافية يمكن في أغلب الأحـوال تحديـد مواقعهـا. ويظهر أن معلوماتهم تجاوزت نوعا ما حدود شبه الجزيرة العربيـة، فقـد ذكـر النابغة في مدحه لملك الغساسنة ما يلي:

سجود له غسان يرجون فضله و ترك ورهط الإعجاميين و كابل (1)

أما من الناحية الاقتصادية البحتة و فيما يخص التبادل التجاري فإنه يمكن استنتاج أمـو ر هي :

1/ ضخامة حجم القوافل التجارية التي أصبحت الواحدة منها تضم من 500 إلـى 2500من العير ، و من هنا تظهر لنا ضخامة حجم الأموال الموظفة في التجـارة الخارجية و مبلغ كبر هذا الحجم للتجارة مؤشرا على الأهمية التي كانت تـشغلها التجارة الخارجية في البنية الاقتصادية للمنطقة .

2/ تركز القسم الأعظم من الأموال الموظفة للتجارة الخارجية الداخلية لدى الأسر الغنية في مكة و الطائف ووجهاء القبائل و كبار التجار في الحجاز و هو مؤشر للدور الذي تلعبه الفئات التجارية العليا كالأمور الاقتصادية و السياسية ، بحيـث بسطوا نفوذهم المالي و الأدبي و السياسي على كثير من القبائل العربية .

- - - - - - - - - - - - - - - -

-(1)- منذر البكر : المرجع السابق / ص ص 67 – 68 .

- Monroe, op,cit,p60.

- Musil,(the nor them HEGAS),op,cit,p20.

3/ باعتبار التجارة المورد الرئيسي لدى الحجازيين فإنهـا كانـت تـؤثر تـأثيرا ملحوظا في البنية الاجتماعية ، فلقد كان من نتيجة التوجه التجاري المنفعي المادي أن انهار التضامن القبائلي و لم يبق دوما الأمر المقدم و المفضل فـي المجتمـع الحجازي ، بالرغم من أن القبيلة وحدة اجتماعية تعتمد على صلة الدم و النسب و الأخوة و التعاطف و كان لها عرفها المحترم ، و أي فرد منها يخرج عنه تعتبره خليعا ، و يصبح طريدا ، و كذلك بموجب الرابطة المذكورة تهب القبيلة جميعهـا للثأر لقتيلها ، لهذا استوجب التقيد بنظامها ، و كانوا لا يسودون إلا من تكاملت فيه خصال معينة (الكرم ، النجدة ، الحلم الصبر ، التواضع ، البيان) . (1)

لكن روابط النظام القبلي أخذ في التفكك التدريجي نتيجة لتطور القوى المنتجـة و التقسيم الاجتماعي للعمل ، و ظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتـاج ، و نمـو المبادلات التجارية و تفاوت في توزيع الثورة ، و تمايز في توزيع الحقوق بـين أفراد القبيلة الواحدة ، فأصبحت سلطة رئيس القبيلة تستمد وجودها و شـرعيتها من الوضع المالي و الاقتصادي في الدرجة الأولى و في التقاليد البدوية في الدرجة الثانية ، و من دلائل الانحلال روابط القبيلة نشوء التحالفات القبلية على أساس من المصالح المشتركة فالضرورات الدفاعية (حلف دي بالمجاز، و تنوخ و الأحبـاش و قريش و الفضول ...) [2]

-(1)- البلاذري : المرجع السابق ، ج1 ص 57 . و برهان دين دلد : المرجع السابق / ص 54 .

-(2)- بن سعد : المرجع السابق ، ج1 / ص ص 70- 71 .

و لقد حدثت أن كانت وراء الورطات أو الحروب أو المواقف المتطرفة والمنافية لقضية و عرف التضامن القبلي ، أن كان وراءها جماعات غرضـها مـن ذلـك العمل هو الحفاظ على المصلحة المادية الخاصة (نمو الروح المنفعية البرغماتية) بحيث نمت نوع من الفردية نتيجة الجو التجاري الذي كان يـسيطر علـى حيـاة الحجاز ككل ، فلقد اقتضت مصلحة الطبقة المتاجرة في بعض الأحيان أن ينفـرد من بينها فردا أو جماعة معينة بقرار أو عمل يعود عليهم بالفائدة ، رغم أن هـذا العمل و القرار يتعارضان مع مصلحة القبيلة ، فأن هذا الفرد و تلـك الجماعـة تمضي في تنفيذ ماهو لصالحها مضحية بمصالح المجتمع [1].

من ذلك دعوة الرسول (ص) للإسلام رأوا فيها (أبـو لهـب) تهديـدا مباشـرا لمصالحهم التجارية ، بحيث تصرف العرب عن مكة عـن عبـادة الكعبـة ، فعارضها و أذى صاحبها بالرغم من عدم وجود إجماع قبلي على حرب الرسـول (ص) و من هنا ظهرت من جديد التحالفات مبنية أساسا على المصالح الاقتصادية التجارية و هو مبدأ جديد قامت عليه عدة أحلاف (المطيبين ، الفضول) و علـى أساس الشعور التجاري وقفت قريش و جمعت شتاتها في بدر ضد تهديد المسلمين لتفوق التجاري القريشي ، و هذا التطور في العلاقات الاجتماعية أدى بالضرورة إلى ضعف الروابط المبنية على أساس روابط الدم ، و نشوء روابط على أسـس جديدة ، و هذا التطور في تنظيم العلاقات القبلية قد رافقه تطورا اقتصاديا ، نقـل اقتصاد الحجاز من شكل بدوي الذي كان عليه سابقا إلى شكل تجاري رأسمالي ، مما زاد في تعقيد العلاقات بين أفراد المجتمع و ظهور طبقات مستغلة و أخرى

-(1)- نبيه عاقل المرجع السابق / ص 246 .

- Lammens (S) ,(la Mecque….), op ,cit, p 129.

مستغلة ، مما أدى إلى ظهور الصراع الطبقي بين الأغنيـاء و الفقـراء ، بـين المتسلطين و المحرومين [1] .

و صور الأعشى التناقضات الاجتماعية التي عاشها المجتمع الحجازي حيث قال مخاطبا الأرستقراطية الحجازية قائلا :

تبيتون في المشتى ملأ بطونكم! و جارتكم غرقى يبتن خمائما [2] .

و كان لهذا الجو الاقتصادي دورا بارزا في الصراع العقائدي الـذي قـام فـي الحجاز إبان ظهور الدعوة الإسلامية (فريق المؤمنين و أغلبيـتهم مستـضعفين مستغلين ، فريق المعارضين الأرستقراطيين الذين يـروا أن مـصالحهم الماديـة مهددة .

من جهة أخرى يذهب بعض المؤرخين إلى كون الحجـازيين وسـطاء تجـاريين وطدوا العلاقات مع الأمم المختلفة و نظرا لقدرة الحجاز علـى المحافظـة علـى استقلاله في ظل الصراع الدولي ، فإن ذلك أدى إلى تفكير الحجازيين في التحول من أنظمة بدوية التي تخضع لها القبائل إلى التنظيم السياسي . و ظهـرت هـذه المحاولات في مدينتي مكة و يثرب نظام سياسي جعل منها أول حكومـة مدنيـة وأول جمهورية في داخل شبه الجزيرة العربية [3] .و ذلك لكون مجتمع المنطقـة مجتمعا مستقرا و حضريا أهله أغلبه أهل مدن ، و يلاحظ أن هذا المجتمع عـاش وجهائه في بيوت حسنة مريحة مزخرفة مفروشة بأنواع الأفرشة الحسنة المقتنـاة من مختلف البلدان و زينوها بالنقوش و التماثيل و اسـتعملوا الأوانـي الذهبيـة والفضية و متعوا أنفسهم بمباهج الحياة المعروفة في ذلك العهد ، كالخروج صـيفا إلى الأماكن العالية اللطيفة و يسرفون إسرافا كبيرا [4].

- -

-(1)- ... عاقل المرجع السابق / ص 61 .

-(2)- برهان دين دلد : المرجع السابق / ص 61 .

-(3)- أنور الرفاعي : المرجع السابق / ص 139 .

-(4)- جواد علي : المرجع السابق ، ج1 / ص ص 79 – 83 .

أما الكثرة فيعيشون في بيوت حقيرة و حالتها الاجتماعية مزرية مما أدى إلـى أن يقع نفورا اجتماعيا و انقساما ظاهرا بين الطبقتين ، و هذا المجتمع رغم تناقضاته استطاع إلى حد ما أن يحقق عاملين اقتصاديين أساسيين هما التكامل و الاكتفـاء بين جهاته ، فمكة مثلا لا تنتج ما تحتاج إليه من حاصلات زراعية لقفر الـوادي الذي تقع فيه ، لهذا توجه تجارها إلى إقتناء ما يحتجونه من هذه الموارد الزراعية إلى الطائف باعتبارها مصدر هذه الموارد، بل ساهم أصـحاب رؤوس الأمـوال التجارية في عمليات زراعية واسعة بالطائف و يثرب ، مثل تأجير المـزارع أو رهنها و إعطاء قروض للأعراب ...

و من جهة أخرى يصدرون إلى هذه المناطق الزراعية المواد التجاريـة التـي يحتاجونها سواء محلية (موجودة بالحجاز أو شبه الجزيرة) أو مستوردة (أجنبية) و بهذا خلقوا نوعا من التكامل الاقتصادي لدى المجتمع الحجازي [1]

و من هنا يمكن القول أن هذه الفترة لها منحنى و توجه اقتـصادي و اجتمـاعي معين ذو اتجاه وحدوي ، بحيث تطورت القوى المنتجة و ازداد الإنتاج الزراعـي و التجاري و تكون فائضا للتبادل و حدث تقسيم للعمل و انفصال الحرفـة عـن الزراعة و نمو المدن مستغلة موقعها الجغرافي و أصبحت المنطقـة الحجازيـة موردا لخدمات متنوعة و تبادلات تجارية توافرت فيها ظـروف بخلـق العمـل الإنتاجي ينظم الأسواق الموسمية و تنشيط التجارة الداخلية و الخارجية عن طريق الاتفاقيات و المعاهدات و هو بمثابة تفتح اقتصادي على العالم الخارجي أدى إلـى توسع عمليات التبادل التي زادت من فرص التأثر و التأثير الحـضاري أكثـر ، وأدى من جهة أخرى إلى انتشار التعامل النقدي داخل المجتمع القبلي ، ليعلن بذلك

-(1)- نفس المرجع ، ج1 /ص 84 .

وكذا: Musil, (A) the Nor Them HEGAS), op ,cit,p111

عن زوال أنظمة اقتصادية بدائية بأكملها مما أدى إلى تفككه و ظهور تحالفـات سياسية قبلية أساسها المصالح الاقتصادية المشتركة و ضرورة الدفاع عـن هـذه المنافع من خلال استعرا ضنا لهذا الدور الذي تقوم به التجارة حضاريا .

يظهر لنا جليا أن هذا النشاط الاقتصادي الذي انفرد به الحجاز خلال هذه الفتـرة كان له دورا حاسما في خلق الهوية الحضارية للمجتمع الحجازي بل العرب ككل قبيل الإسلام و في بلورة مفهوم الحضارة لديه . و بالتالي كانت لـه فـي حـدود القرن السابع الميلادي الأرضية الحضارية الصالحة للانطلاق ، بعد أن نفض عنه غبار خيم الشعر الصحراوي و حياة البداوة و ركن إلى حياة الاستقرار بحثا عـن مورد يساعده على ذلك . و استطاع تكييف أحواله الاقتصادية و الـسياسية مـع الظروف المحلية و الخارجية ، مما عاد على المجتمع المنطقة بثراء و رفعة الهمة و تقدير و الاحترام لدى الكيانات السياسية المحيطة به و هذا التطور نفسه خلـق وضعا قلقا لدى المجتمع الحجازي نجم عنه تقسيم اجتماعي جديد و حياة جديـدة ، تحت تأثيرات حضرية مختلفة و ذات تأثير كبير في قلب حيـاة العـرب البـدو خصوصا .

و من هنا يمكننا رفض الآراء القائلة بأن الحجاز الذي شـكل بـالزمن القريـب منطقة لنهضة إسلامية عربية صاحبها فتح لمناطق عديدة شرقا و غربا و أن هذا المجتمع كان في قديمه القريب من الإسلام بدويا يعيش حياة التخلـف و التـأخر الحضاري . و فيما يلي نستعرض هذا الرأي و ما يذهب إليه حتى نعطي حكمـا موضوعيا عليه.

يذهب إلى أن العربي (يتكلم هنا عن العرب عموما و الحجاز خصوصا) البدوي يعيش في الصحراء منزويا ، في عزلة جغرافية تامة و كذلك عدم تبادل وسـائل الإنتاج و الحياة فيها و بقاء طرق العيش على ما كانت عليه من البدء ، و مـا أصالة النسب و تجرد السلالة التي يفتخرون بها إلا دليل و نتيجة العزلة والانقطاع وسط بيئة منزوية " .و عيش ضيق ، كما هي الحال في أوسط الجزيرة العربية " و يضيف :"لئن كانت هناك شعوبا هاجرت في شتى الأنحاء و عاشوا مع الـسكان

الأصليين فإن سكان شبه الجزيرة العربية و على الأخص البدو بقوا عل ما كـانوا عليه منذ بدء التاريخ . و إن العربي بدويا يقطن بيوت الشعر و ينتجـع لمواشـيه المراعي الخصبة و يتخذ من تربية الحيوان مهنته ، و تعتبر الزراعة و التجـارة في عرفه مخلة بالشرف و اعتبر الخبز من الكماليات و من هنا فقد عاش العربي في ثالوث مطلق الناقة ، و النخلة و الصحراء حيث لا يقوى شيء على البقاء فيها لولا صبر العربي ، و انه بقي مرتبط بقبيلته و أن غايته الحصول على الأسودين الماء و التمر بل حتى و أن لباسهم قميصا طويلا و نطاقا يشده على حقويـه ، و عباءة يلتف بها و كوفيته عقالا على رأسه السراويل فقليل ما يعرفهـا و الأحذيـة نادرة الوجود ، و أن القتال و الغزو غريزة ملازمة للعربي ، هذا ما طبع حيـاة العرب في الشمال قبل الإسلام [1]

و هذا الرأي ينفي نفيا قاطعا أن تكون منطقة الحجاز ذات خلفية حضارية كانـت منطلقا لحضارة الإسلام ، فلا يعقل أن تنطلق حضارة بهذا الزخم و هذه القـوة و تحقق نجاحات كبرى دون أن تكون لها أرضية صالحة للانطـلاق ذات أسـس و دعائم قوية ، و قبل أن نصدر ردنا على ما قيل حول حضارة المنطقـة فإنـه لا يمكن أن يكون هناك انطلاق ناجح لأي شيء مهما كان بسيطا انطلاقا من فراغ ، ما بالنا بانطلاق حضارة العرب الإسلامية . و من هنـا نعتمـد مفهومـا معينـا للحضارة و التحضر كمقياس لمدى تحضر الشعوب و تقدمها و أيضا تخلفها . لقد اختلفت المفاهيم لكلمة حضارة ، في اللغة العادية و الكتابية و العلوم الاجتماعية و الإنسانية و لا يوجد معنى منها يعد نهائي و حتى العلوم الاجتماعية نفسها لا يوجد

---

(1)- فيليب حتى : العرب تاريخ موجز ، دار العلم للملايين ، ط4 1968 ، بيروت / ص ص 14 إلى 23 .

-(2)- نفس المرجع / ص 23 .

اتفاق بين العلماء يحدد هذا اللفظ فمنهم من يستخدم كلمة ثقافة أو حضارة بمعنى واحد كمرادفين أو أن الثقافة متميزة على الحضارة و لها مقاييس خاصة إلى غيرها من المفاهيم و يظهر لنا و إن أصبح المفهوم هو الذي نجده لدى علماء القرن العشرين ، بحيث يفرقون بين الحضارة و الثقافة دون إصدار أحكام قيمية على شعوب متحضرة و غير متحضرة ، إذ لكل شعب حضارته ببدائيا كان أم متطورا فكل له معايير علمية خاصة به أما الثقافة فتعني النواحي الأخلاقية والروحية في حياة المجتمع إلى جانب المظاهر الحضارية ، مثل وجود صناعات وحرف معقدة و بسيطة و أنواع مختلفة من الصناع و التجار و الفنانين [1] .

إن الدارس للتاريخ العربي القديم يجد أن منطقة شبه الجزيرة العربية مركزا لحضارات إنسانية تعد لبنة للمنجزات الحضارية اللاحقة. و منطقة الحجاز تدخل ضمن هذا الإطار فلقد ورث الإسلام بظهوره في المنطقة إرثا حضاريا مكن المسلمين من بناء قاعدة متينة للانطلاق و بذلك فتح الإسلام صفحة جديدة في تاريخ الحجاز و العرب ككل. لقد تأثر الإسلام بالبيئة التي ظهر فيها كما تأثر بالإرث الحضاري بمفهومه الشامل و لعل تأثير الحضارة العربية جنوبا أو شمالا كان كبيرا وواسعا في تطور المجتمع الحجازي بحيث كان للعوامل الجغرافية أثرها في ظهور مجتمعات حضارية على أطراف شبه الجزيرة العربية يغلب على بعضها الطابع الزراعي و على البعض الأخر الطابع التجاري و خاصة في مدن وغرب شبه الجزيرة العربية و على الرغم من أن وسطها كان مجالا واسعا للمجتمعات الحجاز البدوية و الرعوية و كان لعاملي البحر و الصحراء أن حاول تكوين عزلة بشرية إلا أن المؤثرات الحضارية و الثقافية جاءت مع التجارة أو نتيجة للاحتكاك في طرق شمال شبه الجزيرة بالبلاد المجاورة و يمكن أن تكون

-(1)- إبراهيم مذكور : معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب سنة 1975 /ص ص 232 – 234 .وكذا: Hitti: (PH), op ,cit, p154

المؤثرات الأجنبية محدودة مقتصرة على الأطراف أما الداخل فكان نوعا ما بعيدا إلا عن تأثيرات حضارية مستمدة من الكيانات الحضارية العربية المستقرة [1] .

و ابتداء من القرن السادس الميلاد شهد المجتمع الحجازي مرحلة قلقة و حرجـة نتيجة التغير التدريجي نحو إنهاء نظام القبيلة و قدسية رباطها ، في سبيل الحفـاظ على المصالح الاقتصادية في وقت اشتد فيه الصراع بين القوتين العظميين (الفرس و بيزنطة) و كانت ضحيته كيانات سياسية و جنوبية ، في حين بقيـت الحجـاز بمنأى عن هذا الصراع لاتباعه سياسة الحياد مما نقل له تطور ملموس على جميع الأصعدة السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية و ما ظهر فيها من بنيات جديـدة [2] و ما رافق ذلك من صراع القوى الاحتكارية و القوى الفقيرة ، عد هذا من دلائل الوعي في المجتمع الحجازي نحو التوحيد عبرت عن هذا الوعي ثورة محـدودة على الوثنية تجلت في حركة الأحناف[3] .

و غير هذا الوعي من نشاط الفعاليات الثقافية و الأدبية كالأسواق مما أوجد شعورا من نوع ما بروابط عامة ثقافية و اجتماعية مشتركة و في هذا الوعي القلق لا في الجفاف و بدوية المنطقة كانت تكمن بوادر تحضرها و تقدمها و حيويـة النـشاط الحضاري بها .

و من هنا و قياسا على المفهوم الذي اعتمدنا عليـه للحـضارة فـإن المجتمـع الحجازي كان قبل الإسلام على شكل معين من الحضارة و التحضر و أن له إرثا حضاريا ماديا و أخلاقيا و أن البداوة التي وصف بها إنسان المنطقة و أطلقت على مستواه المعيشي ما هو إلا نقص في النظر و إمعان الفكر ، بحيـث هنـا يقـول المستشرق الهولندي "دوزي " في مقدمة كتابه لتاريخ المسلمين في الأندلس عنـد

-(1)- عبد العزيز الدوري : المرجع السابق / ص ص 9-131 .

-(2)- حسين مروى: النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، ج 1 ، دار الفرابـي بيـروت 1979 /ص 236 . Musil (A) , Arabia DESUTA),op , cit,p162.

-(3)- نفسه ، ص 236 .

حديثه عن العرب قبل الإسلام " :إن نظام البدوي حقق لسكان جزيرة العرب مـا حققته الثورة الفرنسية حديثا من الحرية و الإخاء و المساواة [1] .

و من هنا تظهر لنا أهمية النظام البدوي في خلق شعور وحدوي و أخلاقي رفيـع ميزت شخصية العربي منها التحرر و الانطلاق و رفض الخضوع للضيم و الإباء و الكرم ...، حتى و إن رجعنا إلى مفهوم البداوة لدى بعـض العلمـاء فنجـد " أديسون هبل " في كتابه "الإنسان البدائي في العالم البدائي يـرى بـأن المجتمـع البدوي من انطبقت عليه شروط معينة منها : أن يكون منعـزلا عـن التيـارات الحضارية الكبرى و المجتمعات المتحضرة " بل يذهب كل من تايلور و موجـان إلى أن مراحل التطور في جميع الجهات من العالم واحدة و لا بد أن يمر بهـا أي مجتمع من المجتمعات وفق ترتيبها و صورها [2] .

و من هنا فالمجتمع الحجازي على مرتبة معينة بل متقدمـة مـن التحـضر و التطور و إذ كان اعتبار الغزو و القتال غريزة لدى العربي ، فإنه ليس ضربا من ضروب اللصوصية و إن شابهها ، و لكنه بحكم عوامل حياة البداوة و الاقتـصاد والاجتماع وضع من أوضاعها و ركن من أركانها ، ففـي الـصحراء غريـزة ملازمة لطبيعة الفرد و يحسب الغزو خليق بالرجال و سجية من سجايا الرجولة .

و جاء الإسلام لثورة شاملة رفض فيها العصبية القبلية و مفاهيمها و أتى بفكرة الأمة كوحدة سياسية و دعا إلى الجهاد و رفض الغزو و جـاء بمفهـوم القـانون "الشريعة " بدلا عن العرف القبلي و هاجم الاستغلال و الجشع المادي و أكد على العدالة الاجتماعية و رفض الفردية المطلقة باحتكار و استغلال و تكديس الثـروة وبالتالي كان التغير لفائدة المجتمع ككل مع التأكيد على المسؤولية الفردية .

- -

-(1)-H-LAMMENS , op,cit , T 1 , p 71 .

-(2)- ابراهيم مذكور : المرجع السابق /ص 92.

- **<u>التعريف بأهم المراكز التجارية</u> :** (الحياة العقلية، الحياة الدينيـة، النظـام الحربي)

لقد تحدث الكثير من الباحثين عن الفكر العربي قبل الإسلام. فمنهم من كتب مقالا و منهم من ألف كتابا أو ألقى محاضرة لكنهم لم يتفقوا عل رأي، شأنهم فـي ذلك من تحدثوا عن حضارة العرب قبل الإسلام و تنحصر أراء الباحثين في ثلاثة مواقف.

الأول يرفع من قيمة العرب في الجاهلية و يجعلهم في مـصاف الأمـم المتقدمـة كاليونان و الفرس و الروم.

الثاني و ينفي عن العرب كل مظاهر الرقي الحضاري و كل أنواع المعارف.

الثالث و يتوسط الرأيين و ينسب للعرب بعض المحاسن و المعـارف و بعـض المساوئ و يجردهم من العلوم العريقة [1] .

فالموقف الأول يمثله الألوسي في كتابه (بلوغ الإرب) حيث رفع مـن قيمـة العرب العدنانيين بينما يمثل الموقف الثاني "رنان في كتابه "تاريخ اللغات السامية" حيث قال " لا مكانة لبلاد العرب في تاريخ العالم السياسي و الثقافي و الديني قبـل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة الذي صار به العرب أمة فاتحة مبدعة و لـم يكن في جزيرة العرب شأن في القرون الأولى من الميلاد حتى كانت غارقة فـي دياجير ما قبل التاريخ و لم يظهر بأسها و بسالتها إلا بعد القرن الـسادس مـن الميلاد [2]

أما الموقف الثالث يمثله ابن خلدون و أحمد أمين و غيـرهم، هكـذا انقـسمت الآراء حول دراسة الفكر العربي و تراثه العلمي المعرفي القـديم، هـذا و تفيـد الأخبار التي حققها الباحثون أن العرب في الشمال و الجنوب كانت لهم معارف

-(1)- ضيف الله محمد الأخضر : محاضرات في الحضارة العربية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائـر 1982 /ص 15 .

-(2)- غستاف لوبلن : حضارة العرب ، ترجمة زعيتر الحلبي ، القاهرة 1956 ، ص 87 .

تتناسب مع سكان كل منطقة تميز كل منها عن الأخرى ، ففي اليمن نظرا لـ وفرة المياه أبدع أهلها في علم الزراعة و عندما أصبح الحجاز مركزا تجاريا و ملتقـى الوفود أدى إلى خلق تجمعا حضاريا لتلقيح الأفكار المختلفة ، لكن قبل ذلك كـانوا لا يجيدون كثيرا من العلوم و أفضل ما تركوه هو الدواوين الشعرية التـي تعبـر على أكثر مظاهر حياتهم الاجتماعية ، لكن أدى اتصالهم بالحضارات المجـاورة إلى أن يتأثروا بمظاهرها فأخذوا المثير من المعارف مع ذلك لم يكن لهم مؤسسات علمية بالمفهوم الحديث و قد يمكن اعتبار الأسواق من أهم المؤسسات التعليميـة يحيث يعمل أناس فيها على التباهي بمعارفهم و منهم من يعمل على تهذيب اللغـة والشعر ... كما يعد النظام القبائلي بأعرافه إحدى المؤسسات التعليمية الاجتماعية و عموما التوصل إليه كان مبنيا على قوة النظر و صـدق الحـدس و التجربـة والتقليد [1].

أ- <u>الحياة الدينية</u> :

يذهب العديد من المختصين في دراسة الديانات، إلى أن العقيدة الدينية غريزة النفس البشرية لا يمكن إنكارها و لو تظاهر بعضهم بأنهم لا يشعرون بأية دعـوة يدعيها[2] .

فالعقيدة خلقت مع الإنسان و ترعرعت معه فهي ملازمة له في سره و علانيته لا تفارقه و كأنها ظل داخلي من مشاعره، فما تنفك في إثارة الأسئلة عـن مـصدر الكون و مصير الإنسان بعد الموت أخالد هو أم فان أم سعيد أم شـقي مـاهي أسباب الشقاء و السعادة ؟ أترجع أصلا إلى ما يقدمه الإنسان في حياته من أعمال إن مثل هذه التساؤلات راودت الإنسان الأول و حاول أن يفسرها بعقله لكنه عجز فاضطر أن يأمن بقوة خفية و يسند لها صفة الحياة و الممات التي تصل الإنسان

-(1)- ضيف الله محمد الأخضر : المرجع السابق ص 23 .

(2)- حسن نعمة/ الأساطير والديانات القديمة:ج1، بيروت1996،ص33.

و غير الإنسان ، كما أسند إليها النفع و الضر و الـصحة و المـرض و الغنـى والفقر[1] .

و الأديان القديمة كانت جماعية تتعلق بالقبيلة كلها ، بحيـث أن الإلـه يحميهـا ويشمل برعايته كافة أفرادها . و لقد مارس العرب عبادة الأوثان و هي منحوتـة من خشب أو ذهب أو فضة أو حجر على صورة إنسان مثل هبل (و هـو علـى صورة إنسان مكسور اليد اليمنى) . كما عبدوا الأنصاب و هي حجارة يستحسنها صاحبها وينصبها أمام الحرم أو غيره ويطوف حولها ، وكـانوا يقـدمون إليهـا الأضاحي . وقد بنوا بيوتا للآلهة بالحرم ، تسمى البيوت المقدسة مثل بيت الـلات وبيت العزى [2] .أشهرها الكعبة .ووردت أسماء مختلفة في القرآن الكريم (البيت العتيق ، البيت الحرام) [3] . ويؤكد البعض أن في كل بيت حجازي أصنام حتـى نحول الحجاز إلى قلعة للوثنية . ومن هنا فلقد وضعوا آلهتهم في مواضع معينـة وأصبحوا يزرونها بل جعلوا لبعضها مواسم و طقوس و أوقات محـددة تـسمى بالحج الذي استوجب عباداته أناسا يتدربون عليها ويتفهمون أهدافها و يرشـدون الناس إليها و هو ما يعرف بالسدنة [*] إضافة إلى اليهودية والنصرانية التي يرجح جماعة من الباحثين أنها دخيلة عن المحيط العربي و أن أثرها كان محدودا إضافة إلى التي رفضت عبادة الأوثان و الديانات الأخرى . فالأحناف كانوا علـى ديـن إبراهيم عليه السلام . من هنا يظهر تزايد مركز مكة الديني الذي سمح بظهـور وظائف يتطلبها الحج و هي ولاية الكعبة التي تجسدت بحق المؤسسة الدينية لدى عرب الحجاز .

-(1)- حسين الحاج حسن : المرجع السابق /ص 165 .

-(2)- جواد علي : المرجع السابق نج6 ، ص 165 .

-(3)- بن سعد : المرجع السابق ؛ ج4 /ص 10 .

-(*) – السدنة جمع سادن و هو خادم الكعبة يفتح بابها و يغلقه .أنظر عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام،ج1، بيروت 1996، ص32.

ب- <u>النظم الحربية</u> :

يؤكد الباحثين أنه لم يكن عند قبائل العرب جيوشا منظمة تجمع أفراد القبيلة شيوخا و شبانا كانوا يلبون نداء القبيلة عندما يستنفرهم رئيسها مندفعين في ذلك وراء العصبية . في حين اعتمدت الإمارات و الممالك العربية المجاورة للحجاز على جيوش دائمة . و لقد عرفوا في حروبهم نظام الميمنة و الميسرة و استخدموا العيون في ترصد العدو ، و استعملوا في حروبها آلات و أسلحة كبيرة نذكر أشهرها : السيوف المشرقية و القسي و السهام و حافظة النبال إضافة إلى الدرع و هو لباس يغطي الظهر و الصدر و أشهرها الفرعونية [1] و لقد شاركت النساء في الحروب لتشجيع الرجال على الصمود مثل ما فعلته نساء المشركين يوم بدر بحيث قلن ما يلي :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

أن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق [2] .

و كان الأسرى يساقون بعد المعركة مصفدين بالأغلال يستخدمون كعبيد و قد يفتديهم أهلهم ، و قد يقتل الأسير . كما كان لقريش نظام أمن خاصة في أشهر الحرم و هي عبارة عن فرقة خاصة متطوعة تضبط الأمن في الأسواق تسمى ب"الذادة المحرومون " فلم يكن لدى الحجاز مؤسسة عسكرية معروفة أكثر منها مؤسسة قبلية ، قد يعود ذلك أن الحجازيين اتبعوا الحياد في كل الأحداث التي دارت بالمنطقة بين القوى المحلية و الأجنبية ، و كانت في مأمن و لا تحتاج إلى قوة عسكرية دائمة لترعى مصالحها ما دامت مؤمنة و مضمونة .

-(1)- عبد العزيز سالم : العرب قبل الاسلام المرجع السابق /ص 368 .

-(2)- ابن هشام : المرجع السابق ، ج2 /ص 72.

3- التعريف بأهم المراكز التجارية

1- مكة

اختلفت روايات الإخباريين في اشتقاق كلمة مكة و ذهبوا في ذلك مذاهب شتى و سنعرض فيما يلي مصدر اشتقاق كلمة مكة في روايات مختلفة .

I- قال أبو بكر الأنباري سميت مكة لأنها تمك الجباريين أي تذهب نخوتهم .

II- و يقال أنها سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم (قد امتكـه الفـصيل ضرع أمه اذا مصه مصا شديدا) و يرى ياقوت الحموي على هـذا التفـسير بقوله (فاغلط في تأويل ، بل لا يشبه مص الفصيل الناقة بازدحام النـاس ، و إنما هو قولان) [1]

ج- و قال الشرقي بن القطاعي (إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانـت تقول لا يتم حجنا حتى تأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حـول الكعبة ، و كانوا يصفرون و يصفقون بأيديهم إذ كانوا بها و المكاء بالتشديد الكاف طائر يأوى الرياض).

د- و قال قوم سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها و هي في هبطة بمنزلة المكوك [2]

هـ - هناك تفسير لغوي على أساسه تكون مكة مشتقة من امتكة من قولهم "امتكه الفصيل أخلاف الناقة ، اذا جذب جميع ما فيها جذبا شديدا فلم يبق فيهـا شـيئ ، ولما كانت مكة مكانا مقدسا للعبادة فقد امتـك النـاس أي جـذبتهم مـن جميـع الأطراف[3].

-(1)- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة مكة ، مجلد 5 /ص 181 .

-(2)- نفس المرجع ص 181 .

-(3)- نفس المرجع ص ص 182-183 .

و يروي ياقوت أنها سميت مكة من مك الثدي أي مصله مائه لأنهم كانوت يمتكون الماء أي يستخرجونه ، و قيل أنها تمك الذنوب أي تذهب عما يمك الفصيل ذرع أمه فلا يبق فيه شيئا [1]

ي- جاء ذكر مكة في جغرافية بطليموس تحت اسم ماكورابا [2] و يبدو أن هـذا الاسم له علاقة بالبيت العتيق الذي كان سر شهرتها كعاصمة دينية في الجاهلية . فكلمة ماكورابا قريبة من مكرب التي عرفت عند السبئيين ، و تعبر عن لقب كان يحمله الكهنة لأنها مدينة مقدسة [3] . و يذكر بروكلمان أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية إلى النوبية و معناها الهيكل [4]. بينما يذكر الآخرون أنهـا قـد تكون مشتقة من مكا البابلية بمعنى البيت ، و هو المقصود ببكة ، فقالوا أن بكـة موضع البيت و ما حوله بيت مكة وذكر الياقوت رواية أخرى عـن مغيـرة بـن إبراهيم جاء فيها أن بكة هو موضع البيت و مكة ذو طوى و هو بطن الوادي [5]. الذي ذكره الله تعالى في قوله " **و هو الذي كفى أيديهم عنكم ببطن مكة ، ومـن بعد أن أظفركم عليهم و كان الله بما تعملون بصيرا**"[6].

و يرى بعضهم أن بكة هي نفس مكة أبدلت فيها الميم على عادة أهـل الجنـوب بالباء ، و يعتقد الدكتور جواد علي أن بكة ليست سوى لهجة من لهجات القبائـل التي تبدل الميم بالباء [7].

- -

-(1)- جواد علي : المرجع السابق ، ج4 نص 144 .

-(2)- نفس المرجع ص 188 .

-(3)- جورجي زيدان : المرجع السابق ،ص 249 .

-(4)- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه فارس ، مطبعة الكـشاف ، بيـروت 1956 .ج1 ص 33 .

-(5)- الأزرقي المرجع السابق ، ج1 ص 188

-(6)- سورة الفتح الآية 48 .

-(7) جواد علي ، المرجع السابق / ص 189 .

و ذكر الإخباريون أن لمكة أسماء كثيرة غير بكة مثل أم القرى و مثل ما ورد في قوله تعالى :" **لتنذر أم القرى و من حولها** " [1]. و سميت بالبلد الأمين و العرض و القادس لأنها تقدس أي تطهر من الذنوب . و سماها الله تعالى بالبلد الأمـين "و التين و الزيتون و طور سنين و هذا البلد الأمين " [2]وأيضا سميت بالبيت الحرام في قوله تعالى :

" **جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامـا للنـاس** " [3] و يحتمـل المؤرخـون أن التسميات التي أطلقت على مكة كانت في أول أمرها مقاما دينيا ، كان يعرف باسم مكرب أي مقدس.

أما من حيث عمرانها فإنه يشكل هلالا يميل إلى الاستطالة و تـضيف عليهـا سلسلتان مزدوجتان لتلال .شرقها يمتد جبل أبو قبيس و غربهـا يحـدها جبـل قعيقعان و هي تقوم في بطن وادي يعرف ببطن مكة ، تشرف عليها الجبال مـن جميع النواحي ، و مناطقها المنخفضة تسمى البطحاء و مساكنها تتمثل في مسكن قصي حول الحرم ، و كانت الدور محدقة بالمسجد ، و في الظاهر كانـت تقـوم تجمعات عمرانية ذات أبنية ساذجة متضامنة الأسقف بينما تتوارى خرابات وراء منحنيات الشعب و من هذا مجموع العمران كانت تتألف المدينة لا يراها قاصدها حتى يصل إليها و كانت المياه بها شحيحة مما دعى بعض الإخباريين إلى تفـسير إسم مكة بأنها مشتقة من مك ، أي امتص لقلة مياهها و الناس كانوا يشربون مـن آبار خارج الحرم ، مناخها قاري تشتد الحرارة في أثناء النهار و الرياح الـساخنة تكاد تخمد الأنفاس .أقدم سكانها العماليق الذين جاؤوا من العراق و الشام ثم باقي

-(1)- سورة الأنعام الآية 36 .

-(2)- سورة التين الآية 3 .

-(3)- سورة المائدة ، الآية 97 .

القبائل العربية ، و إبتداء من الاسماعليين و الجـرهميين و خزاعـة و الأوس و الخزرج و أقليات يهدوية و نصرانية .....[1].

2- يثرب

يذهب جواد علي إلى أنها مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات القديمة و كانت من المواضع التي أقامت فيها جاليات من معين ثم آل أمرها إلى سبئيين بعـد أن زالت دولتهم ، كما جـاء ذكرهـا فـي جغرافيـة بطليمـوس فـذكرها باسـم" LATHRIPPE " و مرة باسم LATHRIPPA " و عرفت عند الإخبـاريين باسـم يثرب ، وذكروا أنها هي أم القرى المدينة و حددوا امتدادها ما بين طرفي (القنـاة إلى طرف الجرف [2] . و منهم من يقول أن إسمها يعود إلى يثرب بن قانية بـن مهليل بن ارم بن نوح [3] . في حين زعم آخرون أن يثرب مأخوذة مـن الثـرب بمعنى الفساد أو التثريب أي المؤاخذة بالذنب و ذكروا أن النبي (ص) نهى عـن تسميتها يثرب و سماها الطيبة و طابة كراهية التثريب ، وقد ورد في القـرآن " **إذ** يقول المنافقون و الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله إلا غـرورا ن و إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و ليستأذن فريق منهم النبي يقولون أن بيوتنا عورة و ما هي بعورة أن يريدون إلا فرارا "و ما أورده القرآن ما هو إلا حكاية عن المنافقين و اسم المدينة أطلق عليها بعد الهجرة النبويـة ، فقـد يكون مأخوذ من لفظة "مدينتا ا لأرامية ، و معناهـا الحمـى أو المدينـة ذكـر الاخباريون أن يثرب لها 29 اسم منها المدينة – طيبة – العذراء –الجـابرة ...) تقع على بعد 500 كم شمال مكة في منطقة مكشوفة من سائر الجهات تتميز بكثرة

-(1)- جواد علي : المرجع السابق / ج 4 ص 144

-(2)- نفس المرجع / ج 3 ص 395 ج4 ص 181 .

(3)- المسعودي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 148 .

المياه و الشجر و الدوحات أقرب الجبال إليها جبلي أحد و جبلين العيرين (عير الوارد، و عير الصادر) و يعد واد العقيق أخصب مناطق يثرب و بها عدة حرات (حرة واقم في الشرق و حرة الوبرة في الغرب و حرة قباء في الجنوب[1].
يشبه مناخها مناخ مكة، الحرارة تشتد صيفا و البرودة شتاء، تسقط بها أمطارا وتحدث سيولا في كثير من الأحيان ، و يكون سقوطها عادة في أوقات قصية لكنها عنيفة ، فمناخها عموما معتدلا هيئ لها مع خصوبة تربتها ليشتغل سكانها بالزراعة و يزعم الاخباريون أن أول من استوطنها هم العماليق ثم نزلها اليهود بعد أن قاتلوا العماليق ، لكن جواد علي استبعد هذه الرواية لافتقارها إلى سند صحيح ، في حين يميل إلى رواية بني قريضة العائلة و أنهم علموا بمقدم النبي (ص) إلى يثرب من خلال التوراة نزلوا المنطقة ثم نزلها الأوس و الخزرج [2].
من الناحية الاقتصادية تعد يثرب من أخصب مدن الحجاز لكونها أرض بركانية خصبة تتوافر فيها مياه الأودية و الآبار و العيون ، و النخيل أهم مزروعاتها ويشكل الشعير المصدر الثاني لثروة يثرب كما يزرع أيضا القمح ، الكروم ، كما كانت تقام بها مختلف أسواق و تباع فيها مختلف السلع الواردة من مختلف الطرق البرية و البحرية و أهم مرافئها الجار الذي تر فأفيه السفن الحبشية و المصرية و غيرها [3] .

3- <u>الطائف</u>:

يصفها البكري و ياقوت الحموي بأنها مدينة صغيرة قديمة البنيان تقع تقريبا بالقرب من مكة . و سميت بهذا الإسم لأن رجلا من الصدف يقال له الدمون بن عبد الملك ، و كان تاجرا ثريا قتل ابن عمه بحضرموت ثم خرج هاربا حتى نزل

---

(1) العقيق مجموعة أعفة أي أودية شقتها السيول .أنظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، مجلد 2 – مادة حرة ص 247 .

(2)- جواد علي : المرجع السابق ، ص 182 .

(3)-ياقوت الحموي : المرجع السابق – مادة مدينة يثرب –ص 87 .

بأرض الطائف فحالف مسعود بن معتب الثقفي و تزوج من ثقيف مقابل ذلك أقام لهم طوفا مثل الحائط حتى لا يصل إلى ثقيف أحد من العـرب ، فبنـاه بمالـه ، وسمي الموضع لذلك بالطائف [1] .

و اعتقد أنها سميت بذلك لطواف الناس حول البيت و تسمية طائف جاءت نتيجة أهميتها الدينية باعتبارها مركز ديني ثاني في الحجاز بعد مكة .

تقع الطائف على ظهر جبل غزوان من جبال الصراة ، يحيط بالمدينة نطاق من المزارع و البساتين تمتد إلى نحو 3 إلى 4 كم من المركز العمراني بالمدينة يطوق جبل غزوان جزء من هذه المزارع بينما ينفتح أهل الطائف باتجاه مكة لاعتـدال مناخها لقد عرفت بطيبة هوائها و بمائها الشامي ، فكانت مصيفا لأهـل مكـة و يكون بها في الشتاء بردا شديدا ساعد هذا الجو على اتساع نـشاطها الزراعـي و تتميز بإنتاج الحنطة التي تعتمد عليها حواضر الحجـاز الأخـرى إضـافة إلـى منتوجات زراعية عديدة كالكروم ، و غيرها [2]

أغلب سكانها من ثقيف و هم من قسي بن منبه بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس ، بن عيلان ، ثم جماعة من حمير و قوم من قريش و جماعة من الأوس و الخزرج و مذينة و جهيم . و قبائل هذيل . و كانت لـسكانها ارتباطات التجارية كبيرة بسكان مكة ، و كانت مركزا دينيا كبيرا بحيـث توجـد بالمنطقة صخرة كبيرة تعرف بتعظيمها الكبير من العرب إلى أن كسرها المغيرة بن شعبة أثناء الفتح الإسلامي [3].

---

(1)- البكري معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى الصفا ، ج1 .

(2)-ياقوت الحموي : المرجع السابق – مادة الطائف ،مجلد4 –ص 9 .

(3)- الأزرقي : المرجع السابق – –ص 366 .

الخاتمة

يمكن القول في الأخير بأن مكة كانت بمثابة دولة المدينة كان لها تنظيمها السياسي و الاجتماعي والديني الخاص بها يختلف عن بقية التنظيمات الأخرى السائدة في تلك الفترة الزمنية في بلاد الروم أو الفرس، فقد بلورت ذلك حسب تقاليدها وأعرافها بزعامة قصي بن كلاب.

كذلك الأحداث السياسية و العسكرية التي جرت في شبه الجزيرة العربية كان لها أثرها على حياة مكة التجارية. حيث زادت في توسيع تجارتها لدرجة أنّها أصبحت تتحكم في الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية. كما أن وجود الكعبة كان عاملاً مساعدا على ثراء مكة لاحتوائها مقدسات العرب مستغلة في ذلك قدوم العرب محملين بأموالهم وكل ما هو ثمين لديهم. والمستفيد من هذا طبعا هم المكيون. وعليه نخلص إلى أن مكة انفردت بتنظيم سياسي واجتماعي وديني ، مما تسود لدى الباحثين بتسميتها

بجمهورية الحجاز،أو بالدولـة المدينـة، كـذلك ففـي الجانـب الاجتماعي يلاحظ أنها مكنت لكل القبائل بالتعايش سلميا في ظـل قوانين وأعراف قبلية مكية مما خلق نوع مـن الانـسجام بـين مختلف مكونات المجتمع المكي، ونؤكد على أن أبرز عامل جامع لهذا المجتمع المنظم له سياسيا هو الجانب الديني الذي لعب دورا بارزا، في حياة المكي السياسية والاجتماعية وحتـى الدينيـة، حيث أكسب المنطقة نوعا من القداسة لدى كل سكان شبه الجزيرة العربية خاصة بعد فشل حملة أبرهة الحبشي المعروفة بحملة عام الفيل، نسجل هنا أيضا أن هذه التنظيمات المذكورة التي ميـزت المنطقة الحجاز معبرا لكل الخطوط التجارية البرية القادمة مـن الجنوب أو من الشرق أو الغرب،وكذا ضمت أكبر الأسواق التي ضمت العرب وسـاهمت فـي وحـدتهم الـسياسية والدينيـة و الاجتماعية واللغوية والفكرية.

ومما زاد في تنظيم التجارة وازدهارها أيضا هو ما قام به أنباء عبد مناف الأربعة وعلى رأسهم هاشم، وعبد المطّلب ونوفل والمطّلب، من دور في ربط، الايلافات أو العهود التجارية مع ملوك الدول الكبرى كالروم البيزنطيين والفرس و اليمن وغيرها. فأعطى بذلك بيت بني عبد مناف دفعا وتنظيما جديدين لتلك العلاقة أي علاقة مكة بشمال وجنوب شبه الجزيرة العربية وحتى شرقها وغيرها من المناطق الأخرى.

كذلك فإننا نسجل أن مكة خصوصا منطقة الحاجز أصبحت منطقة استقطاب للتجارة الدولي سواء منها البرية العابرة لشبه الجزيرة أو المحيط بها أي الطرق البحرية، بحيث تصل المنطقة مختلف المتاجر والتجارة، وكذا منطقة جذاب القبائل شبه الجزيرة العربية والشعوب المجاورة لها، مما هيأ المجتمع المكي للمتغيرات اللاحقة فيها بعد، إضافة إلى أن أنظمة الحجاز الدينية

والاجتماعية والسياسية سمحت لمكة بأن تكـون لهـا الأرضـية الكاملة لاحتضان الرسالة النبوية، فيما بعد، كذلك يلاحظ دور مكة الأساسي في توحيد قبائل الشمال مع قبائل الجنوب تجلى ذلك في حج كل القبائل إلى مكة والاتجار معها .

والملاحظ اهتمام المستشرقين بالمنطقة في مختلف جوانبهـا الحضارية، بحيث ظهرت دراسات عديدة تناولت مكة، والحجاز، بشكل مفصل ، ولكن بنظرة استشراقية بعيدة إلى حد كبيـر عـن الموضوعية، وذلك مقارنة بواقع المنطقـة الحـضاري، وكـذلك بالنظر إلى الدراسات التي جاءت بها كتـب مـؤرخين العـصر الوسيط.

وأخلص إلى أن دراسة مكة من الناحية الحضارية لازالـت بعيدة المنال أمام قلة التنقيبات الأثرية نظرا لقداسة المنطقة بالنسبة للمسلمين.

الملاحق

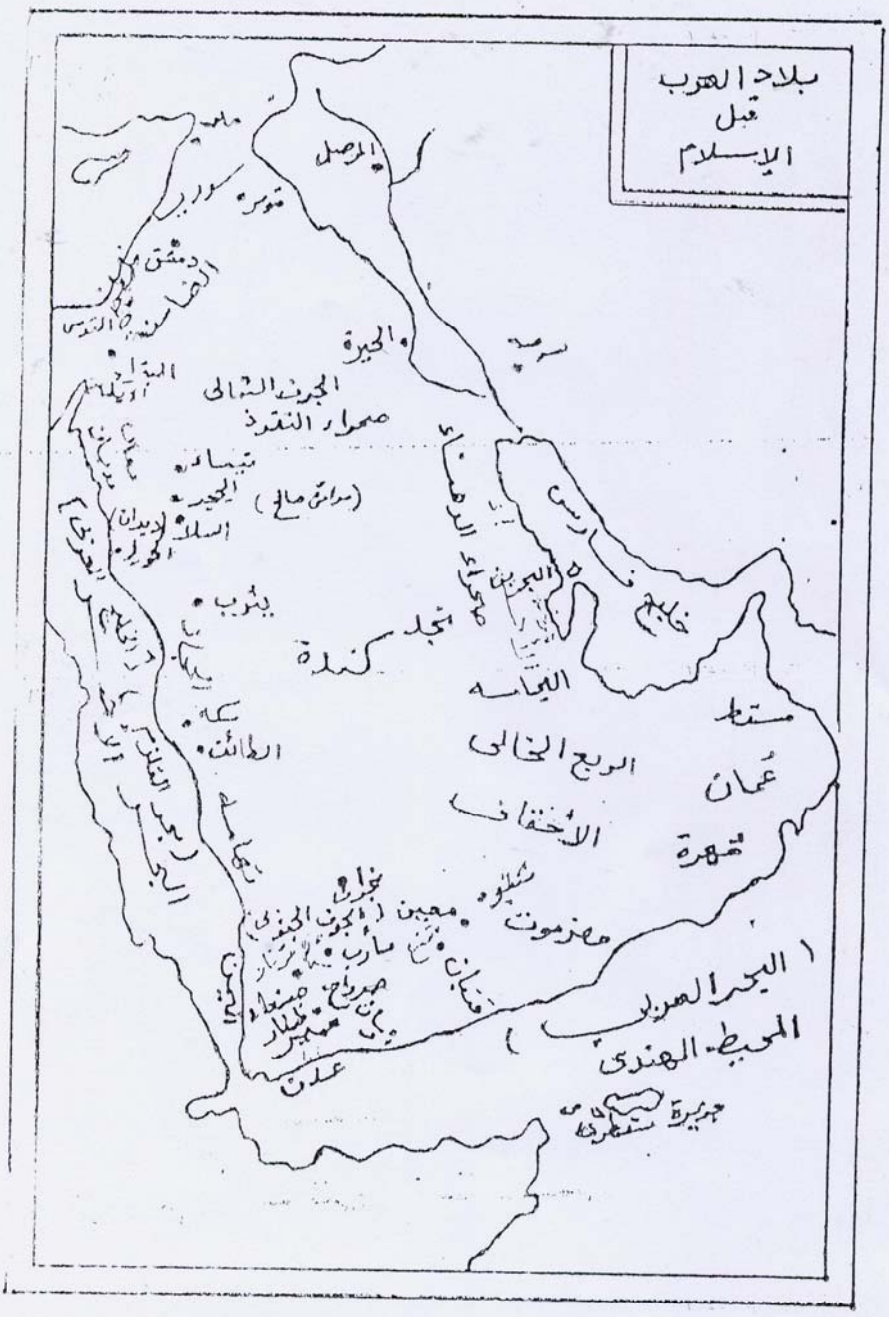

خريطة رقم (١)

بلاد العرب قبل الإسلام

عن : مصطفى السيد عادل

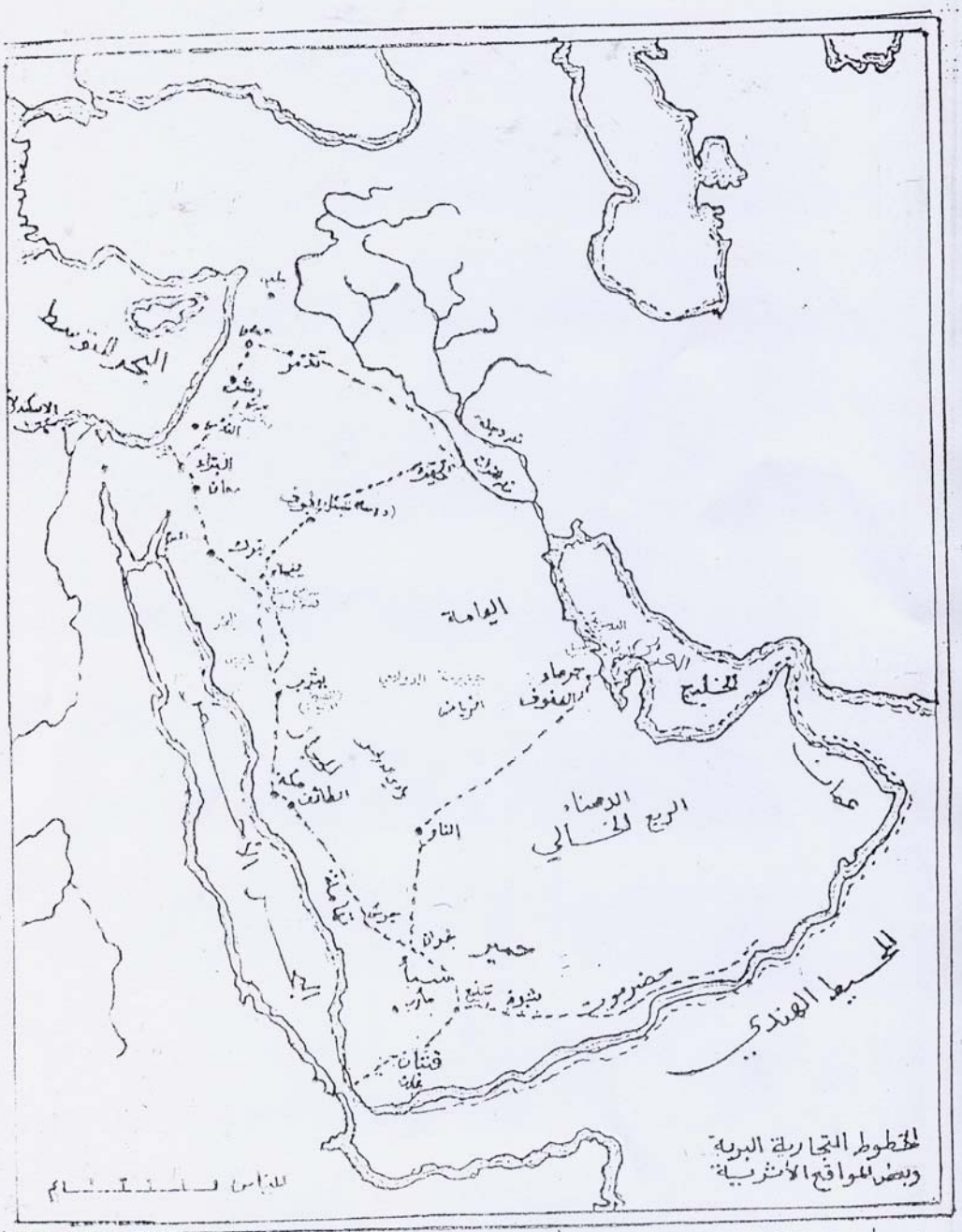

خريطة رقم ٢٠

المرجع : نظمي عبد الوهاب الحج ، التجارة في العصر القديم ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٩٦

خريطة رقم 3

نفس المرجع السابق ص 277

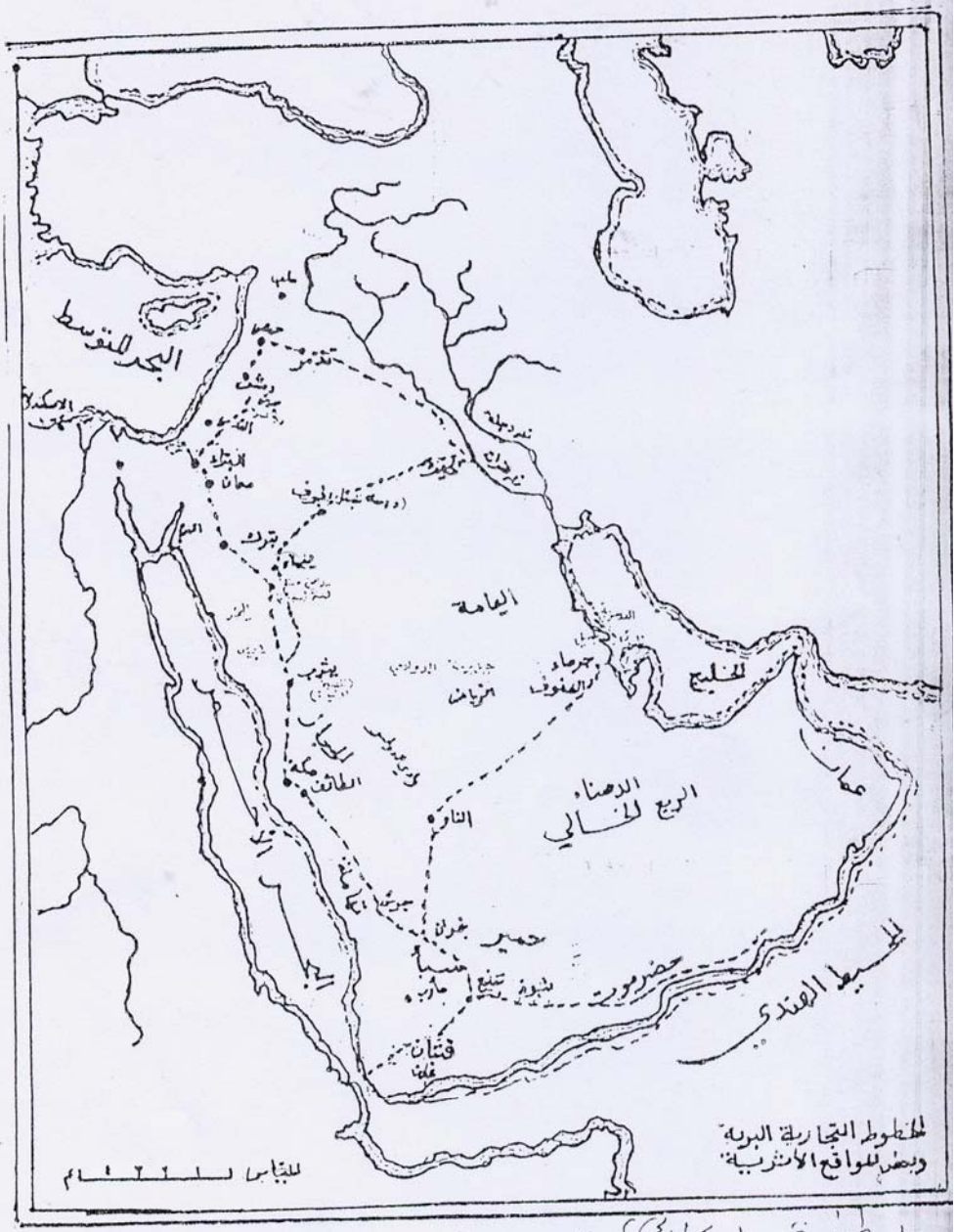

لطفي عبد الوهاب يحيى: نفس المرجع السابق ص 272
ص 276

الرشيد رقم 4

مكررة خطأ

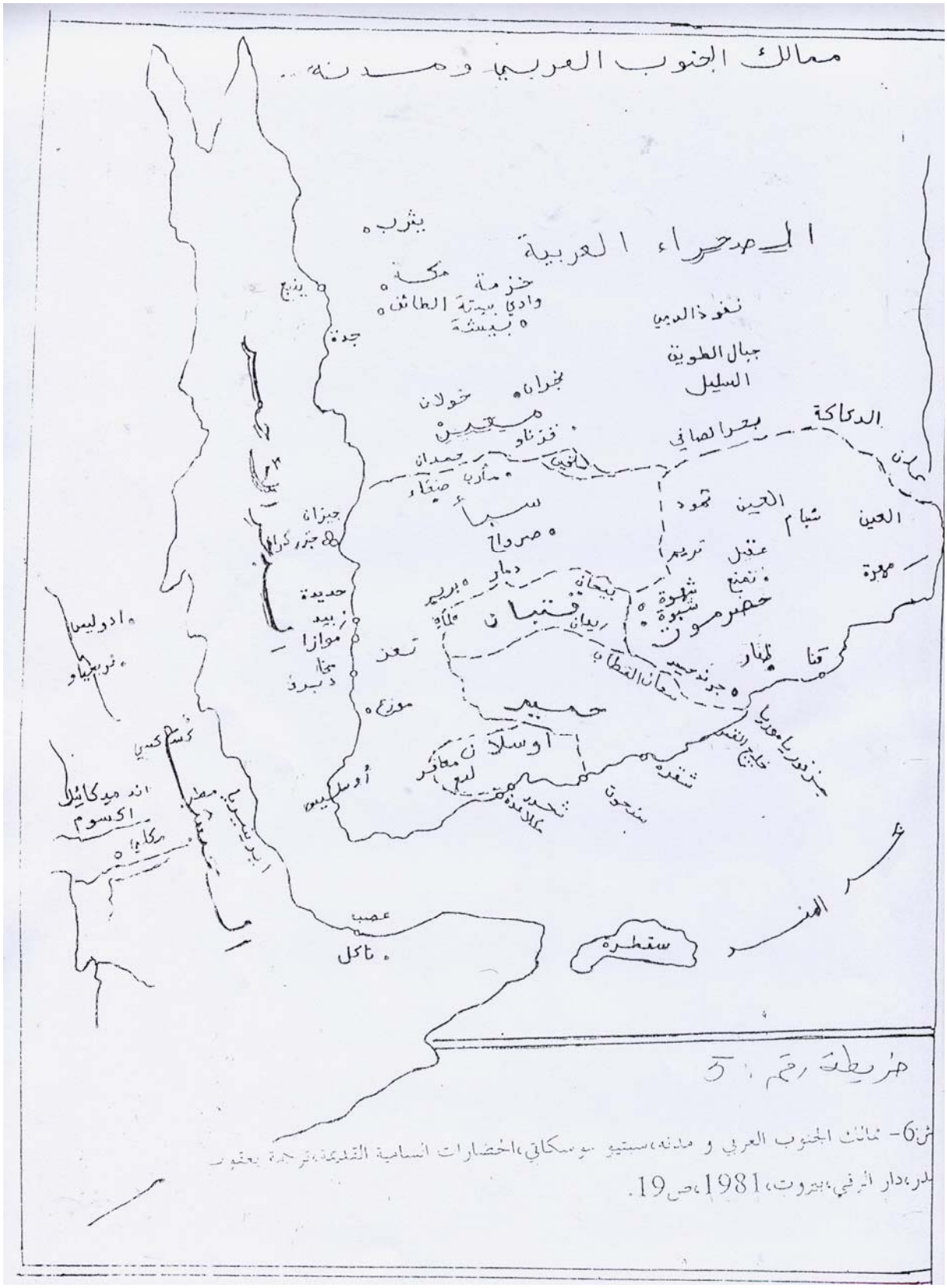

خريطة رقم : 5

ش6- ممالك الجنوب العربي و مدنه،سبتينو موسكاتي،الحضارات السامية القديمة،ترجمة يعقوب
لدر،دار الرقي،بيروت،1981،ص19.

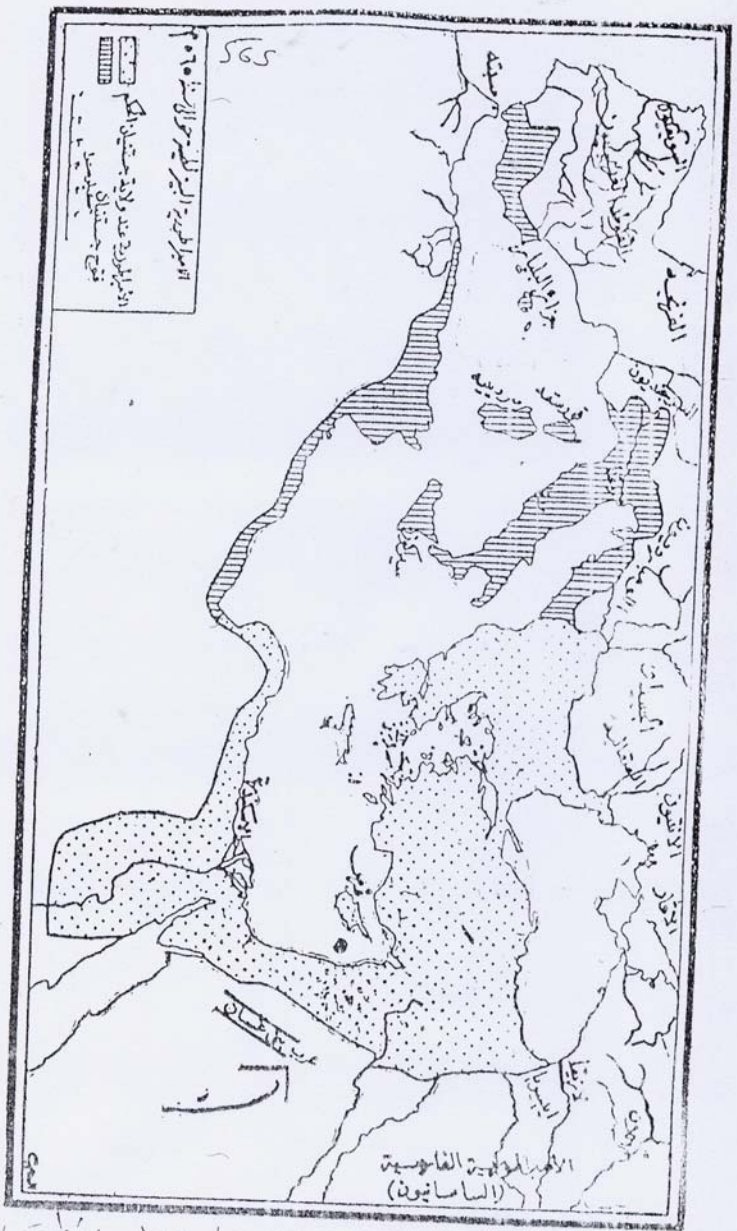

خريطة رقم (٦) البارز العراقي ، الامبراطورية السيرنطية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٢ .

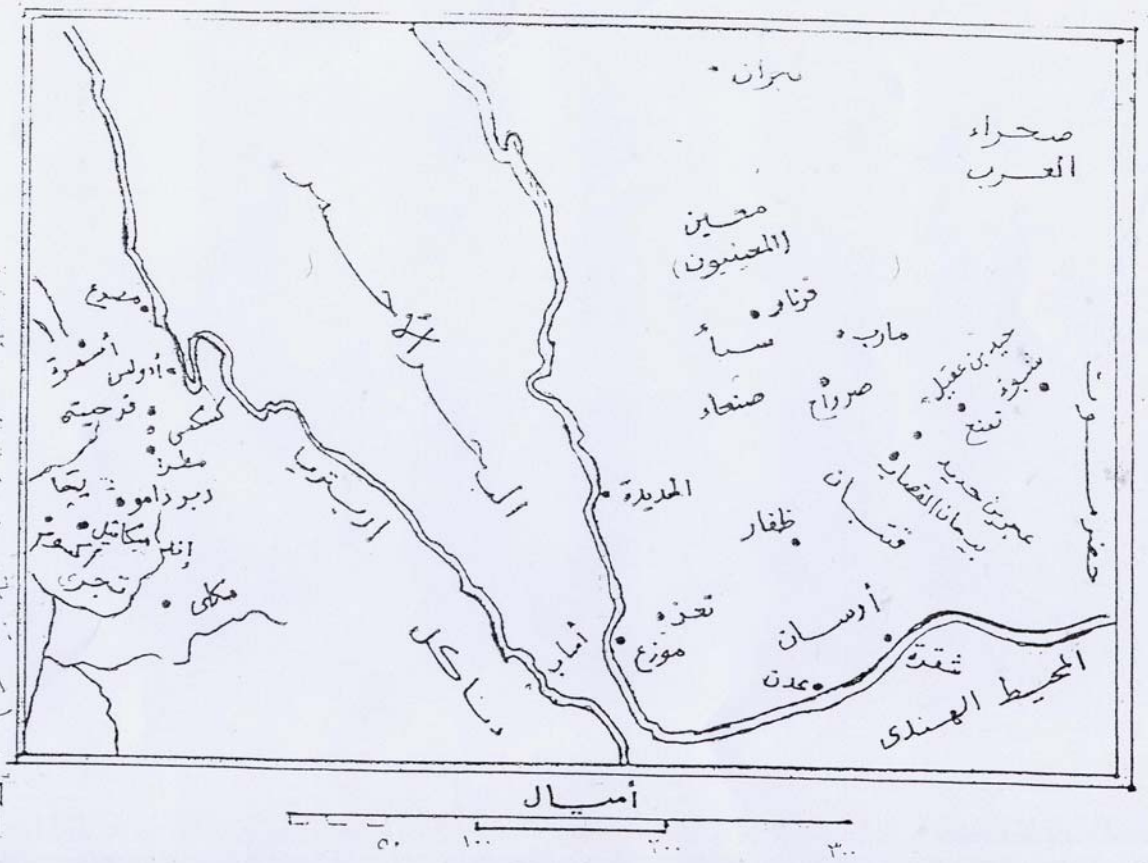
صحراء
العرب
معين
(المعينيون)
قرناو
مأرب
سبأ
صرواح
صنعاء
شبوة
تمنع
المديدة
ظفار
قتبان
أوسان
شقرة
عدن
المحيط الهندى
البحر الأحمر
البستوريا
أنبار
موزع
تعزه
أميال
٥٠
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠

البيبليوغرافيا

المصادر و مراجع البحث

أ- المصادر

ب- المراجع

ج- الموسوعات والمجلات والمناجد

أ- المصادر:

01- القرآن الكريم.

02- الحديث الشريف.

03- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار الكتاب اللبناني، 1956، الجزء الثاني.

04- ابن عبد ربه أحمد- العقد الفريد- ضبط أحمد أمين وآخرين، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر، 1952م، الجزء الثالث.

05- ابن الكلبي – كتاب الأصنام – تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1965م.

06 - ابن هشام – السيرة النبوية – تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الثانية، مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1965م، القسم الأول.

07- الأزرقي – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار – تحقيق رشدي صالح ملحس، الطبعة الثانية ، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، 1965م.

08- البغدادي – مراصد الإطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – تحقيق محمد البجاوي الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، 1955م الجزء الثالث.

09- الحموي ياقوت – معجم البلدان – منشورات مكتبة الأسدى، طهران 1965م، الجزء الرابع.

10- الفاسي التقي – العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين – مطبعة السنة المحمدية،

القاهرة بدون تاريخ، الجزء الأول.
11- القلقشندي – صبح الأعشى – مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.
12- المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر- ضبط يوسف أسعد داغر، الطبعة الأولى دار الأندلس، بيروت 1965م، الجزء الثاني.
13- اليعقوبي – تاريخ اليعقوبي- الطبعة الأولى، بريل، 1969م، الجزء الأول.

ب- المراجع:

01- إبراهيم حسن علي – التاريخ الإسلامي العام – الجاهلية الدولية العربية. الدولية العباسية، مكتبة النهضة المصرية، وكالة المطبوعات الكويتية، 1972م.
02- إبراهيم الشريف أحمد – دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول و الثاني للهجرة – المطبعة الأولى ، دار الفكر العربي، 1968م.
03- إبراهيمالشريف أحمد – مكة و المدينة في الجاهلية وعهد الرسول- دار الفكر العربي 1985م.
04- أبو ضيف أحمد مصطفى – دراسات في تاريخ العرب منذ ما قبل الإسلام إلى ظهور الأمويين- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1982م.
05- أبو النصر عادل – تاريخ الزراعة القديمة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1960م.
06- الأفغاني سعيد – أسواق العرب في الجاهلية والإسلام – الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1960م.
07- بادو جون.س وآخرون – عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة، ترجمة

صلاح جلال وآخرون، مطبعة معهد مساسا تشوستس للتكنولوجيا، الولايات المتحدة الأمريكية 1978م.

08- باشميل محمد أحمد – العرب في الشام قبل الإسلام- الطبعة الثانية، دار الفكر 1987.

09- برّو توفيق – تاريخ العرب القديم، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق 1984م.

10- بن صديق أبو هشام عبد الله، الأسر القرشية أعيان مكة المحمدية – الطبعة الأولى، مطبوعات تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية 1983م.

11- جواد علي – تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1967 الجزء الأول ، القسم السياسي.

12- جواد علي – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت ، مكتبة النهضة، بغداد، 1971، الجزئين الرابع والسابع.

13- الحاج حسن حسين – حضارة العرب في الجاهلية- الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، 1984م.

14- الحوفي أحمد محمد – الحياة العربية في الشعر الجاهلي – القاهرة، 1956م.

15- دروزة محمد عزة – تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار و الأقطار – المكتبة العصرية، بيروت، 1961م، الجزء الخامس.

16- الدوري عبد العزيز- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت 1969م.

17- ذياب أحمد – تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد 1984م.
18- الرفاعي أنور – تاريخ العرب و الإسلام منذ العصور القديمة حتى العهد العثماني – دار الفكر ، بدون تاريخ.
19- رنيه ديسّو – العرب في سوريا قبل الإسلام – ترجمة عبد الحميد الدواخلي، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، 1959م.
20- زغلول سعد عبد الحميد – في تاريخ العرب قبل الإسلام – دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.
21- الزهراني ضيف الله بن يحي وغباشي عادل محمد نور – تاريخ مكة المكرمة التجاري، الطبعة الأولى، الغرفة التجارية الصناعية، مكة المكرمة، 1998م.
22- زيدان جورج – العرب قبل الإسلام، 1969م.
23- سالم عبد العزيز – تاريخ العرب قبل الإسلام- مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الأسكندرية.
24- سيديو.ل. أ- تاريخ العرب العام – ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1969م.
25- عدواني محمد الطاهر- الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ) – وزارة الثقافة و السياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
26- عوض الله أحمد أبو الفضل – مكة في العصر ما قبل الإسلام – الطبعة

الثانية ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية 1980م.

27- فرّوخ عمر – العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي – دار العلم للملايين، بيروت، 1966م.

28- فهي محمد عبد الرحمان- النقود العربية – ماضيها وحاضرها – المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، فيفري 1964م.

29- لطفي عبد الوهاب- العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام – الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1979م.

30- مروة حسين- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية- الطبعة الثانية، دار الفارابي، بيروت، 1979م، الجزء الأول.

31- مغربي محمد علي – لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام – الطبعة المدني، مصر، 1983م.

32- مهران محمد بيومي – تاريخ العرب القديم- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.

33- مهران محمد بيومي – دراسات تاريخية من القرآن الكريم- مطابع جامعة محمد بن سعود ، كلية العلوم الإجتماعية، السعودية، 1980م.

34- موسكاتي سبتينو- الحضارات السامية القديمة- ترجمة السيد يعقوب البكر، دار الرقي، بيروت، 1986م.

35- نــافـع محمـد مبـروك – عصـر مـا قبل الإسلام – الطبعة الثانيـة- مطبعــة

السعادة، مصر، 1952م.
36- نبيه عاقل - تاريخ العرب القديم وعصر الرسول – الطبعة الثالثة، دار

الفكر، 1975م.

ج- الموسوعات و المجلات والمناجد:

01- غربال محمد شفيق – الموسوعة العربية الميسرة – دار إحياء كتب التراث، مج1.

02- مجلة تاريخ العرب و العالم، السنة الأولى، العدد 5، مارس1979م.

03- معلوف لويس – المنجد في اللغة و الإعلام، الطبعة26، دار المشرق، بيروت.

بالفرنسية:

1- EMELESIN – LA MECQUE, VILLE BENIE – EDITION ALBIN MICHEL, PARIS.

2-HALPHEN LOUIS – LES BARBARES – 4eme EDITION, PRESSES UNIVERSITAIRE DE France, PARIS, 1940.

3-LAMMENS.(S.J) LA MEQUE ALAVEILLE DE L'HEGIRE. IMPRIMERIE CATHOLIQUE, BEY ROUTH, 1924.

4-SEDILLOT – HISTOIRE GENERALE DES ARABES.

5-SOURDEL DOMINIQUE – HISTOIRE DES ARABES. 2eme EDITION. PRESSES UNIVERSITAIRES DE France, 1980.

6- LAMMENS.(S.J),LE BERECAU.DE L'ISLAM, Rome 1914.

7-(----------) L'ARABIE ACCIDENTALE AVANT L'HEGIRE ,BEYROU TH 1928.

8- CAUSSIN DES PERCEVAL, ESSAI SUR L'HISTOIRE DES ARABES AVANT L'ISLAM, T3, 1847-1848.

9-BLACHERE (R), LE PROBLEME DE MOHAMET PARIS, 1959.

10- HUZAY IN (S.A), ARABIA AND THE FAR EAST CAIRO,1942.

11- LAMMENS.(S.J),AGE DE MOHAMED, ROME1924.

12 –WATT (W M), MUHAMMAD AT MECCA, AX FORD,1953.

13-HITTI (P.K),HISTORY OF THE ARABES , LONDON, 1960.

14- WILLIAM (M), THE LIFE OF MOHAMED, ……1923.

15- LAMMENS.(H), LA REPUBLIQUE MARCHANDE DE LA MECQUE,PARIS 120.

16-……..(P B), THE ACIENT ARABIA, LONDON 1946.

17- GROHMAN(A), ARABIEN, MUNICHER, 1963.

18-HOGOR THE (D G),A HISTORY OF ARABIA, LONDON EXFORD, 1922.

19-MUSIL (A) , NOR THERN NEJD, N,Y,1930.

19-PHILBY CH.ST.J.B), THE BACKGRAOUND OF ISLAM, ALEXANDRIA,1947.

20-OSMAN (R) ,ROCK INSCRIPTION IN THE HIJAZ, LONDON,1969.

21-JAUSSENN (A.J), MISSION ARCHEOLOGIQUE IN ARABIA T II, N.Y,1971.

22-OLEARY (D.L), ARABIA BEFORE MAHAMED LONDON,1927.

23-MUSIL (A), IN THE ARABIA DESERT,N. Y,1930.

24-……..(C),LA DESCRIPTOIN DE L'ARABIA, PARIS1779.

25-LITTMAN (E), NABATEAN IN SCRIPTION FROM THE FOU THEM HOURAN,1914.

26-(----------) NABATEN AND SAFA, LEIPZIG 1940.

27- HUART (C),HISTOIRE DES ARABES, PARIS 1912.

28-HUBERT (C),VOYAGE DANS L'ARABIE CENTRARA, PARIS 1808.

29-(----------),ARABIA FELIX ,N.Y.1958.

30-WILSON (A),THE PERSIAN GOLF,N,Y,1928.

31-MONROE (E),ARABIA FROM INCENSE, TO OIL,RIYADH, 1976.

الفهارس

فهرس الأعلام و الأماكن

- (أ) -

إبراهيم (النبي) 09، 11، 12، 13، 75.

أبرهة 27، 59، 75.

الأحباش 59، 74، 75، 76.

آدم 12.

إرتريا 56.

أزد 15.

الأزرقي 04، 12، 41، 44، 51.

أساف 42.

إسماعيل (النبي) 09، 11، 12، 13، 14، 15.

الإغريق 42.

إفريقيا 48.

أليكسوم 71.

الأنباط 49، 73.

الأوس 42.

أيّاد بن نزار 44.

- (ب) -

البتراء 49، 57، 59.

البحرين 61، 62، 64.

البصرة 55.

بصرى 57، 60، 62.

بطليموس 07.

بكة 07، 08، 13.

بلاد فارس 57.

بيزنطة 57، 59، 69، 70، 74، 76.

بنو أسد 26.

بنو أمية 19.

بنو تيم 26.

بنو جمح 26.

بنو زهرة 26.

بنو سهم 26.

بنو عدي 26.

بنو عذرة 17.

بنو كركر 11.

بنو هاشم 19.

بني حارثة 15، 25.

بني خزاعة 27.

بني عبد الدار 25، 26.

بني عبد شمس 27.

بني عبد مناف 25، 26، 70، 80.

بني قينقاع 64.

بني مخزوم 10، 26.

بني نوفل 27.

- (ت) -

تجارة 02، 10، 18، 22، 23، 26، 27، 37، 47، 48، 50، 51، 54، 58 ، 59، 69، 70، 78.

تدمر 49، 59.

تهامة 64.

تيم بن مرة 28، 41.

يتماء 57.

- (ث) -

ثقيف 40، 44.

- (ج) -

جدة 51.

جرهم 11، 12، 14، 15، 42.

الجوف 56.

- (ح) -

حبّاشة 64.

الحبشة 35، 51، 52، 57، 69، 71، 72، 73، 76، 77.

حبَّى 16.

الحجاز 64، 69، 73، 74، 78.

الحجر 57.

حرّاض 41.

حضرمون 44، 56، 62.

حليل بن حبشية 16، 17.

حمير 55.

الحيرة 56، 60، 74.

- (خ) -

خزاعة 15، 16، 17، 42، 73.

الخزرج 15، 42.

خزيمة بن مدركة 40.
ابن خلدون 14.

الخليج العربي 62، 69.

- (د) -

دمشق 55، 57.

دومة الجندل 57، 62، 65.

ديدان 57.

- (ذ) -

ذو المجاز 45، 62، 77، 78.

- (ر) -

الرابي 62.

ربيعة بن حارثة 15.

ردمان 73.

الروم 10، 35، 49، 52، 58، 61، 71، 72، 74، 78، 79، 80.

الرومان 66، 74.

- (ز) -

زهرة (قبيلة) 17.

زيد (قبيلة) 41.

زيد بن كلاب 16.

- (س) -

سبأ 57.

السبئيين 49، 56.

ابن سعد 17.

سلمان 72، 73.

السودان 35.

سوريا 52، 55، 70، 71.

السيدة بنت الحرث 14.

سيف بن ذي يزن 75.

سيلان 69.

سيناء 57.

- (ش) -

الشام 09، 12، 15، 16، 55، 56، 57، 59، 60، 61، 62، 64، 69، 71،
72، 74، 76، 77، 78.

شبه الجزيرة العربية 01، 03، 05، 10، 11، 18، 19، 21، 30، 47، 49،

55، 56، 57، 59، 69، 70، 71، 73، 75، 76، 79، 80.

شبه القارة الهندية 48.

الشعر 64.

الشعبية 51، 58، 77.

- (ص) -

صعدة 58.

صنعاء 56، 58، 62، 76.

الصومال 56، 77.

الصين 55، 69.

- (ط) -

الطائف 09، 10، 21، 35، 40، 61، 78.

- (ظ) -

ظالم بن أسعد 41.

- (ع) -

العباهلة 71.

عبد الدار 25، 28.

عبد شمس 26، 70، 71، 72، 76.

عبد المطلب 27، 71، 75، 76.

عبد مناف 25، 28، 75، 80.

عدن 58، 62.

العراق 41، 52، 55، 56، 71، 72، 74.

العرب 10، 16، 31، 34، 38، 40، 41، 43، 50، 54، 55، 58، 60،
63، 64، 66، 69، 71، 72، 74، 76، 79.

عرفات 24، 44.

العزى 40، 41.

عكاظ 45، 62، 63، 77، 78.

عمان 15، 55، 58، 62.

عمرو بن عامر 15، 16.

عمرو بن لحي 39، 41.

- (غ) -

أبي غبشان 17.

غزة 57، 61، 62، 71، 73.

الغساسنة 73، 74.

- (ف) -

فارس 69، 70، 72.

الفرس 35، 49، 52، 66، 74، 78، 79، 80.

فلسطين 55، 56، 71.

فهر بن مالك 18.

- (ق) -

القادسية 56.

قتبان 57.

القتبانيين 49.

القرآن الكريم 03، 04، 08، 40، 42، 66، 70.

قريش 09، 14، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 24، 29، 30، 33، 34، 36، 40، 41، 42، 44، 45، 50، 51، 52، 61، 62، 69، 70، 72، 73، 74، 75، 76، 78.

قصي 10، 16، 17، 18، 19، 21، 22، 23، 24، 25، 28، 30، 73، 79.

قضاعة 17.

- (ك) -

الكعبة 11، 12، 15، 18، 22، 23، 24، 26، 27، 29، 31، 32، 39، 41، 42، 43، 45، 50، 51، 69، 76، 79.

ابن الكلبي 16، 17، 38، 41.

كنانة 16، 20.

الكوفة 55.

- (ل) -

اللات 40، 41.

لامانس 77.

- (م) -

ماكورابا 07.

مامة بنت المهلهل 14.

مثقب 55.

مجنة 45، 62، 78.

المخرش 17.

مدائن صالح 57.

المدينة 20، 57، 64.

مرة بن كعب 10.

مريقاء بن السماء 15.

المسعودي 11.

المشقر 64.

مصر 56، 57، 77.

المطلب 70، 71، 72، 80.

معين 56.

المعينيين 49، 56، 75.

مكة 01، 02، 03، 04، 05، 06، 07، 08، 09، 10، 11، 12، 15، 16، 17،

18، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 28، 30، 31، 32، 35، 38، 39، 40، 41،

42، 45، 50، 51، 52، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 63، 64، 69، 72،

73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80.

مكرب 07.

مناة 40، 42.

مناف 42.

منى 24.

- (ن) -

نائلة 42.

النجاشي 76.

نجران 56، 57، 77.

النضر بن الكنانة 18، 19.

نوفل 70، 71، 72، 74، 80.

- (هـ) -

هاجر 11.

هاشم 26، 27، 70، 71، 72، 74، 80.

هبل 29، 32، 40، 41، 73.

هجر 57، 62.

هذيل 42.

الهند 56، 57، 69.

- (و) -

واحة العلا 57.

وادي حبشي 19.

وهب 41.

- (ي) -

يثرب 09، 10، 57، 58، 64، 78.

يعمر بن كعب 18.

اليمامة 55، 56، 57.

اليمن 14، 44، 51، 52، 55، 56، 58، 59، 61، 62، 64، 69، 71، 72، 75، 76، 77، 80.

ينبع 58.

اليونان 56، 59.

فهرس الأسواق والسلع و البضائع و العملات

- (أ) -

الإبل 63.

الأدم 58، 61، 62، 63.

الأرجوان 61.

الأسلحة 61.

الأصباغ 63.

- (ب) -

البتراء 59.

البحرين 61، 62، 64.

بخور 60، 65، 76.

البُرّ 62.

البرود 62.

البز 63.

البزازين 64.

بصرى 57، 61، 62.

بني قنيقاع 64.

- (ت) -

تدمر 58.

التمر 63، 65.

تهامة 64.

توابل 60، 65، 76.

تيماء 57.

الثيران 63.

- (ج) -

جلود 60، 61، 76، 78.

- (ح) -

حباشة 64.

الحبوب 60، 64، 65، 73.

الحجارة الكريمة 61.

الحجامين 64.

الحديد 61، 62، 63.

الحذائين 64.

الحرير 60، 61، 70.

حضرموت 62.

الحلاقين 64.
الحلي 78.

الحيرة 60، 61، 70.

- (خ) -

الخرز 62.

خشب الصندل 61.

الخمور 60، 62، 73، 78.

- (د) -

الدانق 66.

الدراخما 66.

الدرهم 66.

دمشق 57.

دومة الجندل 57، 62، 65.

الدينار 66.

ديناريوس 66.

- (ذ) -

الذهب 61، 64.

ذي المجاز 62، 77، 78.

- (ر) -

الرابية 62.

الرطب 64.

الرقيق 63، 76.

ريش النعام 60، 73.

- (ز) -

زبيب 65، 78.

الزعفران 61، 63.

الزيوت 60، 73.

- (س) -

السلاح 78.

- (ش) -

الشام 60.

الشحر 64.

الشعيبة 57، 77.

- (ص) -

صنعاء 62.

- (ط) -

الطائف 61، 78.

الطيب 62، 63، 76.

- (ع) -

العاج 61، 76.

عدن 62.

العطّارين 64.

العطور 60، 61.

العقيق 61.

عكاظ 62، 63، 77، 78.

عمان 62.

العود 61.

- (غ) -

غزة 57، 61، 62، 71.

- (ف) -

الفاكهة 64.

الفضة (آنية) 61.

الفلس 66.

- (ق) -

القصدير 61.

القطن 60، 63.

القمح 73.

- (ك) -

الكتّان 60، 63.

كروم 65.

- (ل) -

اللؤلؤ 61.

اللادن 76.

لبان 60.

اللطائم 62.

- (م) -

الماشية 63، 65.

مجنة 62، 78.

مجوهرات 60.

مدائن صالح 57.

مر 60، 63.

المستكة 61.

مسحوق الذهب 60.

المشقر 64.

معادن 60.

الميعة 61.

- (ن) -

الناقة 65.

النبط 64.

الند 61.

النعل 58.

- (هـ) -

هجر 62.

- (و) -

واحة العلا 57.

- (ي) -

يثرب 58، 64، 78.

اليشب 61.

اليمن 61.

الفهرس العام

- الفهـرس العـام -

- المقدمـــــــة 01

- المـــدخل 07

- تـــــسمية مكـــــة.....08

- مكـــــة جغرافيـــــا.....10

- مكـــــة تاريخيـــــا 12

- قريش 19

- الفصل الأول:التنظيم السياسي والاجتماعي والديني لمكة.....22

- التنظـــــيم الـــــسياسي 24

- التنظـــــيم الاجتمـــــاعي 33

- التنظيم الديني 41

- الفصل الثاني: تجارة مكة ودورها في شبه الجزيرة العربية:.....49

1- تعريـــــف التجـــــارة 51

2- تجارة القوافل في شبه الجزيرة العربية.....52

3- الطـــــرق التجاريـــــة 57

4- الأســـــواق التجاريـــــة.....63

5- العملات المتداولة.....69

6- العلاقـــة الخارجيـــة التجاريـــة المكيـــة.....70

7- علاقـــة مكـــة بـــشمال شـــبه الجزيـــرة العربيـــة.....74

8- علاقة مكة بجنوب شبه الجزيرة العربية.....76

- الفصل الثالث: - نشاط مكة التجاري بين التأثير والتأثر.....80
1- أثر الصراع الدولي على تجارة مكة.....82
2- أثر التجارة على المجتمع الحجازي.....92
أ-الحياة الدينية.....106
ب-النظم الحربية.....108
3- التعريف بأهم المراكز التجارية.....109
1-مكة 109
2-يثرب.....112
3-الطائف.....113
- الخاتمة: 115
- الملاحق :.....119
- الببليوغرافيا:.....126
- الفهارس:.....137
- فهرس الأعلام و الأماكن 138
- فهرس الأسواق والسلع و البضائع و العملات 150
- فهـ ـرس العنـ ـاويـ ـن..... 157